الشرارة

لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية

الماركسية: أفكار أولية

المركز الماركسي اللينيني للدراسات و الأبحاث و التكوين

يناير 2016 ـ العدد 1

www.acharara.info

محتويات العدد الأول من "الشرارة"

تقديم.....3

لماذا الشرارة : في أهمية سلاح النظرية. عن المركز الماركسي اللينيني للدراسات و الأبحاث و التكوين .علي محمود.....4

أفكار أولية حول الماركسية .نوال صامد 13

تقديم عام.....13

نشأة الماركسية.....13

الثورة الفلسفية.....16

ثورة في الاقتصاد السياسي.....16

ثورة في المجال السياسي.....16

مصادر الماركسية الثلاث .علي محمود 18

المادية هي فلسفة الماركسية.....19

الاقتصاد السياسي.....21

ماركس و الاشتراكية.....22

حول الاشتراكية .حمو العبيوي 24

تمهيد.....24

في بعض المعطيات التاريخية المرتبطة بال"أنتي .دوهرينغ".....24

في الاشتراكية.....27

الماركسية و النزعة التحريفية .لينين.....39

منشورات المركز الماركسي اللينيني للدراسات و الأبحاث و التكوين

يناير 2016

تقديـم

لن نجد أروع وصف للماركسية من ذلك الذي وصف به لينين العظيم الماركسية واقفا على شموليتها و تنوعها و أهميتها ، حيث يقول: "إن مذهب ماركس هو كلي القدرة ، لأنه محق ، إنه متناسق و كامل ، و هو يعطي للعالم مفهوما متماسكا عن العالم ، غير متوافق مع أي ضرب من الخرافات ، و مع أي نوع من الرجعية ، و مع أي لون من الدفاع عن الطغيان البورجوازي ، إنه الوريث الشرعي لأفضل ما أبدعته الإنسانية في القرن 19: الفلسفة الألمانية و الاقتصاد السياسي الانجليزي و الاشتراكية الفرنسية" بهذا الوصف الذي قدمه لينين حول الماركسية تكون هذه الأخيرة أعظم ثورة فكرية حدثت في تاريخ البشرية ، فقد وضعت أعمق و أشمل مفهوم لإدراك العالم ، و لإدراك المجتمع ، فقد خلقت أكبر حركة جماهيرية تقدمية في تاريخ العالم ، إنها أقوى ثورة مجتمعية ، و أقوى تحول عالمي في تاريخ البشرية ، إنها ثورة أكتوبر 1917 العظيمة ، كما فتحت المجال ، من أجل تحقيق الاشتراكية و الشيوعية.

في أهمية سلاح النظرية

1 ـ في ظل تفاقم الأزمة الامبريالية بأبعادها الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية ، و تداعياتها على شعوب العالم ، حيث تزايد الاستغلال و الاضطهاد و الاستيلاب ، و انتشار رقعة الحروب المدمرة للأرض و الإنسان و الحضارة ، و تنامي الاتجاهات الفاشية داخل الدول الامبريالية ، و الانتعاش غير المسبوق للتيارات الأصولية و الظلامية في العالم ، بما فيها الدول الامبريالية الغربية ، في ظل الانحطاط الذي تعيشه السياسة و الثقافة و القيم الإنسانية ، التي تبلورت عبر قرنين من الأنوار ، و زاد من غناها و تطورها إسهامات الفكر الاشتراكي ، خصوصا الفكر الماركسي.

لقد باتت بورجوازية الدول الغربية الامبريالية اليوم ، تتمرغ في وحل الانحطاط المستديم ، حيث سيادة الفكر المثالي الرجعي ، و حيث انتشار عدمية و نهيلية الأطروحات مابعد الحداثية المعادية للثقافة و الفكر ، و للقيم التي تطورت منذ عصر الأنوار ، و ذلك تحت شعار تفكيك الخطابات الإديولوجية الكبرى و التخلي عن أي خطاب. لقد أصبحت الظلامية في دول العالم العربي و ما بعد الحداثة توأمان سياميين معاديين لخير ما أبدعته الإنسانية ، من أفكار التقدم و الديموقراطية و الاشتراكية ، بل حتى معادية للعلم و المعرفة بشكل عام ، حيث يتم التشكيك باسم النسبوية و الذاتية في كل المعارف العلمية. فلم يكن إذن مستغربا ، التقاء الفكر الظلامي و ما بعد الحداثي البرجوازي على نفس الأهداف ، لتحطيم الأسس التي تقوم عليها الحضارة الإنسانية ، و خير دليل على ذلك ، تلك الحرب المستعرة ضد التراث الإنساني المادي و غير المادي ، حيث يتم دك الآثار و المعالم التاريخية في مهد الحضارات و نشوء الفكر الإنساني في بلاد ما بين النهرين.

و لتنفيذ هذا المخطط الجهنمي ، ترسم الاستراتيجيات (استراتيجية الشرق الأوسط الكبير...) ، و يطلق ما يسمى بالثورات المتحكم فيها من بعد (من واشنطن و لندن و باريس ، و حلف الناتو) بمسميات مختلفة ، كالربيع العربي المتعدد بألوان الزهور ، و حيث الشعارات واحدة يتم تسويقها عبر إعلام موجه ، من باريس و واشنطن و لندن ، تلتقطه الشبكات الإعلامية التابعة ، و تبلوره المنظمات غير الحكومية التابعة و الممولة ، التي تجد صدى لدى ما يسمى بالمجتمع المدني. و يقوم الإعلام الامبريالي بصنع معارضين و متحدثين باسم الشعوب على المقاس ، حيث يتم الترويج لهم حد التخمة. و يزداد الأمر مأساوية ، حين لا تجد الجماهير العربية مناضليها و مثقفيها العضويين ، لرسم معالم حركات ثورية للشعوب خارج الوصاية الامبريالية و وكلائها ، من أوليغارشيات كومبرادورية تواقة إلى الهيمنة و السيطرة على الشعوب و الدول ، خدمة للمشروع الامبريالي الصهيوني الكبير.

هكذا أصبحت منطقة العالم العربي ، بشعوبها

المختلفة ، مختبرا و حقل تجارب للامبريالية ، حيث أصبح المواطن العربي أو الكردي أو الأرميني أو التركماني ، الكلداني و السرياني ، و حتى السني و الشيعي و المسيحي و الزيدي و الصابئي و القبطي... مجرد فئران تجارب ، حيث تطبق أحدث نظريات علم النفس و علم الاجتماع البرجوازي ، و حيث يتم التلاعب بوحدة الشعوب ، و الإصرار على تجزيئ المجزء و تفتييت الدول ، و الرجوع بها إلى مرحلة ما قبل الدولة الوطنية ، مرحلة الحروب الدينية و الاستبداد و الاضطهاد الديني و العرقي ، حيث يتم استثمار الترسانة الإديولوجية السوداء للوهابية الخليجية ، و حيث يستثمر فقهاء الصهيونية و وعاظ السلاطين ، و أئمة الذل و العار ، و خدام الامبريالية الأمريكية ، من "مثقفين" و أحزاب سياسية و جمعيات تم تأسيسها تحت الطلب ، و كلاب الحراسة من إعلاميين ، تم تكوينهم على يد تلامذة غوبلز منظر الدعاية الامبريالية و أبوها الروحي.

هكذا عرفت المنطقة العربية ، خاصة الشرق أوسطية منها ، مجموعة من "الثورات" عند الطلب ، ممولة بملايير الدولارات الخليجية ، حيث "الثوار الجدد" (مجموعات لقيطة من ذوي السوابق الإجرامية و الإرهابية منتقاة من هنا و هناك) يتنقلون في سيارات رباعية الدفع ، و حيث آلاف سيارات "تويوتا" تنقل الذخيرة و المؤن ، و حيث "الثوار الجدد"يتوفرون على ملايير الدولارات تفوق بكثير ميزانية العديد من دول العالم الثالث ، و حيث البنى التحتية مجهزة بأرقى وسائل التكنولوجيا المعلوماتية ، الموضوعة في خدمة المشاريع الإرهابية التخريبية المعادية للبشر و الحجر.

لقد أصبح سيناريو ما يسمى ب"الثورات الجديدة" معروفا ، بعد تنفيذ نماذج منها في مصر و تونس و ليبيا و سوريا ... حيث يوعز إلى منظمات شبابية (طلبة الجامعة ...) و منظمات غير حكومية ، حقوقية و غيرها ، مما يسمى بالمجتمع المدني ، و بعد تداريب سرية ، و باستغلال أوضاع الاستغلال و الاستبداد المستديم في الدول المعنية ، إلى إطلاق حركات متحكم فيها عن بعد ، يتم الدعاية لها على نطاق واسع ، عبر التحريض ، كما يتم تحديد أفقها السياسي و خطوطها الحمراء (عدم المساس بالمصالح الامبريالية و الكمبرادورية و الصهيونية) و يتم استثمار القوى السياسية الظلامية بمختلف تلاوينها ، للتحكم في مسار تلك الحركات ، فلكل وضع يختار الاتجاه الملائم لذلك البلد و لتلك الأوضاع فيه ، فيتم توظيف التنظيم العالمي لحركة "الإخوان المسلمين" للأغراض السياسية من انتخابات و غيرها (مصر ، تونس) والتيارات السلفية الوهابية المتطرفة ("تنظيم القاعدة" ، "داعش" و مشتقاتها في سوريا و ليبيا ...و حتى في إفريقيا).

وفي سياق هذه الأوضاع ، سقط العديد من المثقفين التقدميين ، بل و حتى العديد من المناضلين المحسوبين على التيارات الثورية ، في فخ الأطروحات الامبريالية حول ما يسمى بالثورات الجديدة ، و أصبحوا يسوقون لمواقف تدعي دعم الثورات ضد الأنظمة ، و حين يطرح السؤال عن أي ثورات يتحدثون ، يتلكؤون في الجواب ، حيث أصابهم عمى الألوان ، و راحوا يدعون لذوي الأعلام السوداء ، و يميزون — كما أريد لهم — بين الإرهاب المعتدل و الإرهاب المتطرف ، و ذلك حسب الطلب ، فسقطوا في مطب لا مخرج لهم منه ، و معهم سقطت قيم المعارضة و الثورة في قاع الحضيض. و لم

يسلم من هذا التأثير حتى بعض المناضلين المحسوبين على الفكر الماركسي – اللينيني ، أما التحريفيون الجدد فقد وجدوا ضالتهم في التحالف مع القوى الظلامية ، كما وقع في المغرب و مصر و تونس و غيرها ...

أمام هذا التعتيم و التزييف للحقائق و للمفاهيم ، أصبح لزاما العودة إلى صميم الفكر الثوري الماركسي – اللينيني ، و العمل باستمرار على تحيين التحاليل و المفاهيم و التصورات ، و الدفاع عن الفكر الثوري الحقيقي ضد المفاهيم المزيفة و التحريفية.

هكذا أصبح استخدام سلاح النظرية لتفكيك الأطروحات و المفاهيم التحريفية و البرجوازية ، و الدفاع عن الفكر الماركسي – اللينيني الأصيل ، بالوقوف على أرضيته الصلبة ، و بإرادة لا تكل ، أمرا ملحا ، من أجل تقديم الجواب عن الأسئلة المحرقة ، التي تشغل بال المناضلين الماركسيين – اللينينيين الحقيقيين.

لطالما سقط مثقفونا في أحابيل الفكر البورجوازي ، و كلما تعرض الثوريون لهزات ، كلما سقط هؤلاء في المزيد من الأوهام البورجوازية ، فعند أول ضربة أو تحول في الأوضاع يغيرون معاطفهم. فالمثقف البورجوازي الصغير ، حتى و هو يدعي الانتماء إلى الفكر الماركسي – اللينيني ، لا يستطيع التخلص بسهولة من تأثير غريزته الطبقية البرجوازية الصغيرة ، و التي لا يمكن تثويرها إلا عبر التثقيف و المساهمة في الثورة ، من خلال المساهمة في النضال الطبقي البروليتاري ، الذي يجري على أساس مبادئ النظرية الماركسية – اللينينية. فالغريزة الطبقية البورجوازية الصغيرة ، لا تساعد المثقف على تبني مواقف طبقية بروليتارية ، بخلاف الغريزة الطبقية لدى العمال و الكادحين ، التي تساعد على اتخاذ تلك المواقف البروليتارية ، بينما لدى المثقفين تقاوم هذه النقلة و أحيانا بشراسة ، علما أن العمال لا يحتاجون إلا المزيد من التثقيف الثوري ، من أجل الوصول إلى مواقف بروليتارية ، أي الوعي و الممارسة اللذين يتفقان مع الواقع الموضوعي للصراع الطبقي البروليتاري. فلا بد أن يوجه سهم النظرية إلى هدف الممارسة ليتغيرا معا ، و يتثورا معا ، في جدلية لا تتوقف أبدا ، تساعد عليها و تقدمها الممارسة المبدئية ، بأسلوب النقد و النقد الذاتي.

2 ـ في سياق عام للنظام الامبريالي العالمي ، الذي حدد لينين مميزاته الأساسية ببراعة فائقة ، تلك المميزات التي لا تتوقف عن التطور الكمي ، بل تعرف أحيانا تزايدا ، خاصة بعد سقوط الأنظمة التحريفية في الاتحاد السوفياتي و أوربا الشرقية ، حيث:

- أطلقت الامبريالية العالمية صرخة الانتصار ، و أعلن مثقفوها العضويون "نهاية التاريخ" (تبين فيما بعد حقيقة هذه الكذبة) ، و روج كلاب الحراسة الجدد لشعارات حول العالم الجديد ، المليئ بالسلم و التنمية للجميع ، هذا العالم ذو البعد الواحد ، الذي تقوده الرأسمالية المنتصرة من توها على "الاشتراكية" ، في الحقيقة تحت الوصاية و الهيمنة للامبراطورية الامبريالية الأمريكية. هكذا حاولت الامبريالية العالمية ، عبر منظماتها و مؤسساتها (البنك الدولي و صندوق النقد الدولي و منظمة التجارة العالمية ...) أن تفرض على العالم إديولوجيتها المسماة نيو ليبرالية ، ممهدة الطريق للولوج إلى كل أسواق العالم ، من أجل الهيمنة عليها ، في سباق محموم لتحقيق الربح الأقصى و من أجل النهب و تكثيف الاستغلال.

في سياق هذا السباق المحموم ، فالامبريالية الوفية لطبيعتها الاستغلالية و الاضطهادية ، تحمل معها في

كل مكان ، الحروب و الخراب (يوغوسلافيا ، سوريا ، العراق ، اليمن ، ليبيا ، أفغانستان ...).

- لكن سرعان ما وصل هذا الهجوم إلى حالته القصوى ، فانفجرت أزمات النظام الامبريالي ، آخرها أزمة 2008 في الولايات المتحدة الأمريكية ، التي هزت أركان النظام الرأسمالي العالمي ، إلى حد أن منظري "النيولبرالية" ، قد اضطروا إلى القبول بسياسات ، كانت تعتبر إلى وقت قصير بمثابة طابوهات ، من قبيل تأميم أو شراء من طرف الدولة الرأسمالية لأبناك و مؤسسات مالية ، من أجل إنقاذها من الإفلاس. و لحد الساعة فشلت كل السياسات الاقتصادية في إيجاد حلول للأزمة ، و بارت كل الوصفات لعلاج تداعياتها ، و أصبح الاقتصاد يدور في حلقة مفرغة ، حتى أن ما يسمى بالنمو ، لما يتحقق أحيانا ، فهو نمو بدون تنمية.

- تعمقت التناقضات البينية للامبرياليات ، و بدأ النظام الامبريالي العالمي ، ينتقل من نظام القطبية الواحدة إلى نظام تعدد الأقطاب ، و تحولت الامبريالية الصينية إلى أول قوة اقتصادية عالمية ، معترف بها (انظر التقرير السنوي المقدم من طرف البنك الدولي نهاية 2014) ، بينما دخلت الامبريالية الروسية مجال الصراع من أجل النفوذ ، عبر استعراض قوتها العسكرية ، التي تمت إعادة بنائها في السنين الأخيرة ، كما يظهر ذلك التدخل الروسي في سوريا ، و تسير بلدان أخرى في نفس الاتجاه ، معبرة عن رغبتها في إظهار قوتها ، مثل الهند و البرازيل و جنوب إفريقيا ... و ظهرت تكتلات إقليمية و غير إقليمية ، مثل مجموعة دول البريكس و شنغهاي و غيرها ، منافسة للمحور الثلاثي المشكل من أمريكا الشمالية (الولايات المتحدة و كندا) و الاتحاد الأوربي و اليابان.

هكذا ، تبث مرة أخرى صحة قانون التطور غير المتكافئ للرأسمالية ، الذي اكتشفه لينين ، مما أظهر للعالم قوة التحليل الماركسي لتناقضات الرأسمالية.

3- يتابع الرأسمال الامبريالي الكومبرادوري المهيمن في بلادنا ، مساره نحو المزيد من السيطرة و الاستغلال و النهب ، مسطرا فترات جديدة في سيرورة تراكمه الرأسمالي ، بل أنبت أجنحة جديدة للذهاب بعيدا في عمق إفريقيا ، بحثا عن نصيب له من كعكة الاستغلال ، الذي تتعرض له الشعوب الإفريقية ، و ذلك تحت الوصاية الامبريالية ، و بشعارات مزيفة و كاذبة ، عن تنمية الشعوب الإفريقية ، يتم الترويج لها.

لقد أصبح لزاما علينا تحليل سيرورة تراكم الرأسمال الكومبرادوري في بلادنا ، في إطاره الاجتماعي و السياسي ، من أجل استخلاص النتائج و تحديد المهمات للمستقبل ، خصوصا و أن الفئات الكومبرادورية ، الأكثر اندماجا و ارتباطا بالامبريالية العالمية ، المستفيدة من الأزمة الكبيرة ، التي تضرب المراكز الامبريالية ، أصبحت تعبر عن طموحات أكثر ، و من أجل خدمة مصالحها و مصالح الامبريالية الكلاسيكية ، و ذلك تحت ضغط عاملين أساسيين ، هما:

- استمرارية و احتداد الأزمة الاقتصادية للامبريالية ، و انعكاساتها على الفئات الكومبرادورية الأكثر ارتباطا بالامبريالية.

- تراجع القدرات التنافسية للمراكز الامبريالية الكلاسيكية ، أمام الزحف الامبريالي الصيني ، و الأقطاب الأخرى ، و انعكاس ذلك على هامش الربح الذي كانت تحققه هذه الفئات الكمبرادورية من ارتباطها بتلك المراكز ، و خير مثال على ذلك ، الحليف الامبريالي

الفرنسي ، الذي يسير نحو التراجع بدرجات كبيرة ، خاصة ، و أنه المستعمر الكلاسيكي للعديد من الدول الإفريقية. إن هذا المنحى نفسه ، تعيشه الأوليغارشيات الكومبرادورية في دول الخليج ، التي أصبحت أكثر طموحا لاحتلال مواقع إقليمية في المنطقة ، و خدمة المشروع الامبريالي الصهيوني داخلها (انظر الأدوار الموكولة لها في سوريا و العراق و ليبيا و اليمن و أفغانستان ...).

لقد أصبحت الفئات الكومبرادورية ، و الأوليغارشيات الكومبرادورية ، أكثر طموحا و ذات نزعة توسعية ، امبريالوفرعية ، مطالبة بحصص أكثر من توزيع الكعكة.

4- تعيش القوى الإصلاحية المغربية ، سواء منها المرتبطة بالبورجوازية المتوسطة و فئات من البرجوازية الكبيرة (حزب" الاستقلال" ، "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية") ، أو فئات من البرجوازية الصغيرة و المتوسطة (حزب "اليسار الاشتراكي الموحد" و حزب "النهج الديموقراطي"...) ، على إيقاع مستمر من التعفن و المخزنة (حزب"الاستقلال" و"الاتحاد الاشتراكي") و الإفلاس ، و تراجع التأثير(حزب "اليسار الاشتراكي الموحد" و "النهج الديموقراطي").

لقد أظهرت الانتخابات الأخيرة التي نظمها النظام الكومبرادوري ، عن ضعف هذه الأخيرة ، سواء منها المشاركة أو المقاطعة.

و تحاول الجماعات و الأحزاب البورجوازية الصغيرة ، في محاولات يائسة ، أن تسترجع مواقع الإصلاحية المحتضرة ، و خاصة التي كان يتوفر عليها "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية" ، و لكن بدون جدوى ، متناسية أن أجزاءا كبيرة من البورجوازية المتوسطة و حتى الصغيرة ، قد انتقلت إلى صفوف التيارات الإسلامية الرجعية ، حارمة إياها من الأرضية الطبقية لفرض طموحها السياسي ، كتيارات وسطية ، أغلبها ملكي ، و يسعى إلى إيجاد مظلة تحت قبة البرلمان.

و عموما ، يظل صراع القوى الإصلاحية ضد التيارات الإسلامية (باستثناء المتحالفين معها) ، أمرا محكوما عليه بالفشل ، لكونه يدور في أرضية زلقة ، و لكون الشروط الموضوعية و الخطوط السياسية لهذه القوى ، غير قادرة على رفع تحدي المواجهة. و في نفس السياق يقوم النظام بمجموعة من المناورات ، بهدف استنزاف هذه القوى ، من خلال استقطاب العديد من عناصرها ، سواء لخدمته المباشرة ، من خلال هيئات و مجالس ("المجلس الوطني لحقوق الإنسان" و قبله "هيئة الإنصاف و المصالحة"...) أو لتطعيم قوى سياسية وطنية أو محلية ، مرتبطة بالملكية ، و تتشكل من مناضلين سابقين في اليسار ، بما فيه "اليسار الماركسي اللينيني" ("البام" ، و خلق أحزاب محلية ، مستفيدة مما يسمى بالجهوية الموسعة (منطقة الشمال نموذجا) ، و يهدف هذا المشروع ، إلى سحب البساط من تحت أقدام الإصلاحيين ، و إفشال أية محاولة لاستجماع قواها ، من أجل العودة بقوة.

5- تتصدى الحركة الجماهيرية لسياسات الاستغلال و الاضطهاد ، متمردة أحيانا على تلك السياسات ، التي تشكل أرضية موضوعية لتنامي تلك النضالات. لكن ، بسبب خيانات البيروقراطيات النقابية المخزنية منها و الإصلاحية ، و بسبب التأطير الإصلاحي للعديد من الحركات منها ، تراكم الحركة الجماهيرية العديد من

الفشالات ، و في نفس الوقت العديد من الخبرات ، في غياب تام لأداتها الثورية.

6- وحدهم الماركسيون اللينينيون المغاربة ، من يستطيع أن يطلق دينامية جديدة في اتجاه الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية. لماذا الماركسيون اللينينيون ؟

- لأنهم ورثة أفكار "البيان الشيوعي" ، الذي تجاوز فلسفة "إعلان حقوق الإنسان و المواطن" ، إنجيل كل البورجوازيين و البورجوازين الصغار ، و رصيد النضال الثوري للأممية الأولى ، و لدروس كومونة باريس.

- لأنهم ورثة الثورة البلشفية الكبرى بقيادة لينين ، التي دشنت عصر الاشتراكية و اندحار الامبريالية ، و سارت على خطاها الثورات التحررية الكبرى ، في الصين و الفيتنام و ألبانيا ...و استنارت بفكر قائدها الثوري لينين ، حركات المقاومة في أوروبا (المقاومة ضد النازية و الفاشية و الدور الطليعي للشيوعيين في هذه المقاومة) و في العالم الثالث ، عبر القارات الثلاث.

- لأنهم ورثة الحركة التحررية للشعب المغربي ضد الاستعمار ، بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي ، و ماء العينين و غيرهما ، و نضالات الشعب المغربي ضد الاستعمار الجديد منذ الاستقلال الشكلي.

- لأنهم ورثة نضال وصمود الحركة الماركسية – اللينينية المغربية ، ضد النظام الكومبرادوري داخل و خارج السجون ، و في المنافي ، و لأنهم يسيرون على خطاها بعزيمة ثابتة و إرادة قوية ، سيثبتون مرة أخرى ، قدرتهم على التصدي لكل السياسات الرجعية.

و لأنهم كل هذا و غيره ، يدركون طبيعة النضال الحقيقي الذي عليهم أن يخوضوه ، ضد الاستراتيجيات الامبريالية و الرجعية و الفاشية الدينية ، التي تصبو إلى العودة بشعوب المنطقة العربية مئات السنين إلى الوراء ، من خلال محاولات التدمير العملي لكل الطموحات الثورية و التحررية ، عن طريق تشويه المفاهيم (الثورة ، الديموقراطية ، التحرر..) و إطلاقها على القوى الهمجية الظلامية ، أو الجماعات العميلة الليبرالية المرتبطة بها ، و التي تعج بها فنادق الخمس نجوم بأوروبا ، باعتبارها حركات ثورية معارضة أو معتدلة. ثورات تقودها أنظمة قروسطية في السعودية و قطر و دول البترودولار بالخليج. أما الحديث عن الديموقراطية على الطريقة الأمريكية ، لا يعدو أن يكون مجرد ذخان كثيف ، تبغي من خلاله الامبريالية الأمريكية إعادة ترتيب الأوراق في المنطقة العربية ، بما يخدم استراتيجيتها في هذه الأخيرة ، عن طريق وضع أنظمة دمى في يدها ، و عن طريق تجزيئ المجزء و إطلاق الحروب الطائفية و الدينية و العرقية ، و إلهاء الشعوب عن القضية الفلسطينية كقضية مركزية.

على قاعدة كل هذا ، يمكن فهم مواقف الامبرياليات الغربية و حقيقتها ، فالديموقراطية المتغنى بها ، تكشفها حقائق تفقأ العين ، فلندن أصبحت الآن العاصمة العالمية لتنظيم "الإخوان المسلمين" العالمي ، الذي لا تخفي بريطانيا تعاطفها معه ، أو ليست هي صانعته ذات يوم في مصر العشرينيات ؟ أما أمريكا فقد أخذت على عاتقها دور المناولة ، عن طريق اتفاقات مع هذا التنظيم ، من أجل أن يقوم بدور لصالحها و لصالح ربيبتها "إسرائيل" (الدور الممنوح للإخوان المسلمين فيما يسمى ب"الربيع العربي" ، و الصفقة المبرمة من طرف إخوانيي مصر ، بقيادة الرئيس المخلوع محمد مرسي مع إسرائيل ، و ذلك من أجل القضاء على حق

العودة الفلسطيني ، و توطين الفلسطينيين بالمقابل ، على جزء من أرض سيناء ، و هو المشروع الذي تورطت فيه حركة "حماس") ، بل ذهبت الولايات المتحدة إلى حد تكوين أطر و قيادات الحركات الإرهابية القائمة الآن ، و تمويلها عن طريق دول الخليج على رأسها السعودية و قطر. و تقوم الشبكات الإعلامية الممولة بملايير الدولارات ، من قبيل "الجزيرة" والعربية" و"الحرة" و أخواتهن ، و أجهزة الإعلام الغربي ، بالترويج للبضاعة الأمريكية حول ما سمي ب "الربيع العربي" ، الذي لم يكن سوى محاولة استباقية ، لوأد روح الثورة و النضال لدى شعوب المنطقة العربية ، و بأيادي عربية و غيرها ، حيث هيأت الامبريالية الأمريكية و حليفاتها الأوروبية ، نخبا جديدة تم تكوينها على الطريقة الأمريكية ، و ملإ جيوبها بآلاف الدولارات ، و حيث يتم التلويح بالحلم الأمريكي و الديموقراطية الأمريكية ، كبضاعة جاهزة للاستعمال ، و خالية من كل القيم الديموقراطية الحقيقية ، حيث يتم وضع أنظمة عميلة و برلمانات شكلية و أحزاب متحكم فيها و مجتمع مدني يدور في فلكها ، و يغطي على استغلالها و نهبها و اضطهادها. هذه هي الديموقراطية الأمريكية التي يحاول الكثيرون الترويج لها و تسويقها ، و التي تهدف إلى ضرب القضايا العادلة للشعوب ، و تشويه ثوراتها الحقيقية ، و ليس الثورات الملونة.

إن الامبريالية العالمية ، بقيادة الولايات المتحدة ، لتسعى ، في ظروف احتداد أزمتها المستفحلة ، إلى خوض حروب استباقية ، بما فيها الثورات الملونة ، و ذلك لضرب حق الشعوب في تقرير مصيرها ، و حقها في الثورة ، و من أجل التحرر الوطني و الديموقراطية و الاشتراكية.

7 - إن الماركسيين اللينينيين ، المدركين لنقط ضعفهم قبل غيرهم ، و الذين يقفون على الأرضية الصلبة للماركسية اللينينية الأممية ، ليعلمون أن القيام بمهامهم التاريخية ، لن يكون بدون:

1 - محاربة الحلقية و التصدي للدوغمائية و العفوية ، و الزعامتية و الحركوية و التجريبية ، و كل النزعات السلبية داخلهم.

2 - التصدي للتحريفية و التحريفية الجديدة على الجبهة الإديولوجية و الفكرية ، باعتبارها عدوا رئيسيا.

3 - الدفاع عن خط أممي ثوري ، و عن خط الثورة الوطنية الديموقراطية الشعبية ، على طريق الاشتراكية.

4 - العمل من أجل بناء الحزب الماركسي-اللينيني للطبقة العاملة المغربية ، عبر بلورة البرنامج الثوري للماركسيين اللينينيين.

إن "الشرارة" ، و هي تستبطن تلك الأسئلة المحرقة ، التي تقض مضاجع كل المناضلين المخلصين لقضية الشعب المغربي ، ستعمل بتواضع ، و بعزيمة لا تلين ، على المساهمة الدؤوبة و المنتظمة ، من أجل صياغة الأجوبة بنظرة شاملة ، تجمع بين ما هو إديولوجي و فكري و سياسي و ثقافي ، و تتقدم إلى الأمام باستمرار ، مستحضرة حركة نضال الجماهير و البحث باستمرار عن المفاهيم ، التي تنتج عن تلك الحركة و ترتقي بها في جدلية العام و الخاص ، المنطقي و التاريخي ، و تمسك بجوهر الأشياء في تمييز جدلي و متناقض و من خلال التناقض ، بين تصور الشيئ و مفهومه ، بين الممارسة المباشرة و الوعي الحسي و الحس المشترك ، و بين معرفة الشيء في ذاته ، من خلال تحويله لشيء لذاته ، عبر امتلاك الحس الذاتي و

الموضوعي ، من أجل الوصول إلى الوعي العقلاني ، عبر جدلية المحسوس و المجرد ، فالجدلية بالمعنى العام هي دراسة التناقض في جوهر الأشياء ، و هي بهذا المعنى طريقة لاستجلاء الواقع الاجتماعي- التاريخي ، باعتبارها جبر الثورة ، فهي ممارسة لتغيير واعي لهذا الواقع ، أي نفيا للاضطهاد و الاستغلال و الاستيلاب الرأسمالي. إن الربط بين مستويين من المعرفة ، و من الممارسة ، و امتلاك المعرفة الثورية ، يستدعي الجمع بين الفلسفة التي ، كما يقول كارل ماركس ، تجد لدى البروليتاريا أسلحتها المادية ، بنفس القدر الذي تجد فيه البروليتاريا في الفلسفة أسلحتها الفكرية ، بما يعني ، أن استعمال الفلسفة (المادية الجدلية) كسلاح نقدي و ثوري ، يهدف إلى بلورة الأسلحة النظرية ، التي تسمح بفهم الواقع و تغييره بشكل عقلاني ، متوافق مع الغايات و القيم التي تحملها الذات الثورية (الجماهيرالصانعة للتاريخ) ، و العلم (المادية التاريخية ، الاقتصاد السياسي ...) بما يعني ، كما حدد ذلك ماركس ، المعرفة المعمقة للمادة ، من أجل السيطرة على الموضوع المتوخى دراسته ، و ذلك حتى أدق التفاصيل الممكنة ، ثم تحليل مختلف أنماط تطور تلك المادة ، وصولا لدراسة ترابطاتها الداخلية ، أي تحديد مختلف أشكال التطور ، فبدون هذا ، فكل كلام عن الجدلية ليس إلا تأملا و ثرثرة ، فكتاب الرأسمال ، ككتاب علمي ، يبدأ بالعرض الذي هو بمثابة نتيجة البحث و التملك النقدي و العلمي للمادة ، بعدما استنفذ البحث ، و من هنا التمييز بين بداية العرض و بداية البحث ، حيث تكون البداية تعسفية في البحث ، و تعتمد على تفسير الأشياء و تقديمها في تطورها الداخلي و الضروري بالنسبة للعرض ، تلك هي المنهجية العلمية التي أسس لها العالم الثوري كارل ماركس.و على الماركسيين اللينينيين الحقيقيين الثوريين ، أن يعيدوا الاعتبار لهذه المنهجية العلمية ، التي بدونها لا يمكن الحديث عن النظرية بمعناها العام و الخاص ، كحقائق عامة ، و كمفاهيم خاصة للثورة المغربية ، بما يعني توجيه السهم (الماركسية اللينينية) نحو الهدف ، هدف الثورة المغربية ، بما يسمح بالقضاء على الدوغمائية و اجتثاث التجريبية من جذورها.

إن إنجاز التحاليل و الدراسات النظرية ، لا تعني بالنسبة ل "الشرارة" ، إغفال الاهتمام بالثقافة ، بل اعتبار كل ثورة تغفل البعد الثقافي منذ البداية ، هي "ثورة بكماء" ، الشيء الذي أثبته تاريخ الثورات ، و أكد عليه القادة الثوريون الكبار من أمثال لينين و غرامشي و ماو تسي تونغ.

إن واجب الثوريين هو القيام بالثورة ، و الثوار هم مستقبل الثورة ، فكيف يصنع الثورة إلى جانب الجماهير من لا يحمل إلا اسم الثورة ، و جزء من حياته أو جلها ، لا تخضع لمنطق الثورة و لقيمها ، و لذلك ، تعطي "الشرارة" أهمية كبرى للتكوين في مجال النظرية الثورية ، و نعني بالنظرية الثورية:

1- المبادئ العامة للماركسية اللينينية.

2 - اعتماد المبادئ الأممية للماركسية اللينينية بتعميم التجارب الثورية العالمية.

3 - التطبيق العملي لتلك الحقائق العامة على السيرورة الثورية ، من أجل إنتاج النظرية الثورية الخاصة ضمن جدلية العام و الخاص.

4- تحصيل و استيعاب مبادئ الماركسية اللينينية ، ليس استظهارا للكتب و النصوص الذي يسقط في الدوغمائية (الدوغمائية هي الفصل بين النظرية و

الممارسة الثورية ، و الروح الثورية للنظرية الذي يمثلها "التحليل الملموس للواقع الملموس" كما قال لينين) ، كما أن الحركوية ، و غياب البعد النظري يسقط في التجريبية (لا تتعدى التجريبية حدود المعرفة الجزئية ، و بالتالي العجز عن اكتساب المعرفة الكلية ، أو الثورية ، و تسقط في فصل الممارسة عن النظرية).

5 - التطبيق الحي و الخلاق للمبادئ الماركسية اللينينية على النضالات الطبقية ، عبر التحليل الملموس للواقع الملموس ، مع الدعوة المستمرة للمناضلين ، لإعطاء الأهمية لأسلوب التحقيقات ("أنجزوا التحقيقات و لا تقولوا الحماقات" ماو).

إن "الشرارة" و هي تعطي أهمية قصوى للتكوين ، من خلال الدعوة للتثقيف الذاتي و الجماعي ، لتدرك كامل الإدراك ، أن جوهر تكوين المناضلين ، يتمحور حول القدرة على الانتقال من مفهوم بورجوازي للعالم لدى المناضل المبتدئ ، إلى مفهوم بروليتاري للعالم الذي يؤهله ، عبر سيرورة عملية من الممارسة الثورية ، و النقد و النقد الذاتي المصاحب بتقويم الأخطاء و التعلم منها باستمرار ، لأن يصبح مناضلا شيوعيا ثوريا ، يؤمن بخط الجماهير ، و يناضل من أجل تحررها ، و يقدم مصالح الثورة على مصالحه الشخصية و الاجتماعية ، و يستعد للتضحية من أجل تحقيقها. إن واجب الثوري هو القيام بالثورة ، و الثورة إبداع ، كما أن الشيوعي إنسان مبدع على حد قول الشهيد القائد عبد اللطيف زروال.

إن تثقيف المناضلين عملية مستمرة لا تتوقف ، و تتناقض جوهريا مع روح الرضى عن النفس و الغرور وادعاء المعرفة الكلية ، و الابتعاد عن التواضع و احتقار الجماهير و المناضلين بدل التعلم منها ، لأن هي من يصنع التاريخ.

إن الجمع بين التثقيف الذاتي و الجماعي ، مع إعطاء الأولوية للثاني ، هو القاعدة العامة الأولى لتثقيف المناضلين و تكوينهم.

إن "الشرارة" ، و هي ترفع راية الماركسية اللينينية العظيمة ، راية الثورة الشاملة ، من أجل الاشتراكية على طريق المجتمع الذي تنمحي فيه الطبقات ، المجتمع الشيوعي ، تستحضر تضحيات القادة الثوريين الشيوعيين العظام ، من أجل هذا المجتمع ، و هبات و ثورات الطبقة العاملة و شعوب العالم ضد الاضطهاد و الاستغلال و الاستيلاب ، من أجل التحرر الوطني و الديموقراطية و الاشتراكية ، و رصيد شعبنا الكفاحي ضد الاضطهاد و الاستغلال و الاستبداد ، لعاقدة العزم على السير بعزيمة لا تلين ، نحو إنجاز المهام المسطرة أعلاه ، خدمة ، و بتواضع و نقد و نقد ذاتي ، و نكران للذات ، لقضية الثورة المغربية ، و على قدر أهل العزم تأتي العزائم.

عن المركز الماركسي اللينيني للدراسات و الأبحاث و التكوين

علي محمود

27 – 11 – 2015

أفكار أولية حول الماركسية

نوال صامد

تقديم عام

تعتبر الماركسية النظرية الثورية للبروليتاريا العالمية ، و ارتبط اسمها بقائدان و معلمان بروليتاريان هما كارل ماركس (1818 -1883) و فردريك انجلز (1820 — 1895) ،.و لعب كارل ماركس و رفيقه فردريك انجلز دورا كبيرا في نشر الفكر الماركسي الثوري وسط الطبقة العاملة العالمية ، حتى أضحت الماركسية النظرية الثورية العلمية الوحيدة للطبقة العاملة ، ذات المشروع التاريخي الساعي إلى تحرير المجتمع البشري من قيود الاستغلال الاقتصادي الرأسمالي و الاضطهاد القومي ، المرتبط به و من كل أشكال الاستيلاب الاقتصادي و الإديولوجي ، و من أجل ذلك دعت الماركسية إلى تحقيق الاشتراكية عبر تحطيم الدولة الرأسمالية و إقامة دولة دكتاتورية البروليتاريا الاشتراكية على طريق بناء المجتمع الخالي من الطبقات: المجتمع الشيوعي.

نشأة الماركسية

بدأت الماركسية تتبلور كنظرية ثورية تدريجيا قبيل منتصف أربعينيات القرن 19 ،.و قد نشأت في ظروف سياسية و اقتصادية و اجتماعية و فكرية مميزة لتلك المرحلة.

★ لقد كانت ألمانيا منشأ الفكر الماركسي ، تعرف آنذاك غليانا و توترا فكريا و سياسيا ساهم في تأجيجه التأخر التاريخي لألمانيا في ذلك الوقت ، علما أن كلا من بريطانيا و فرنسا كانتا قد عرفتا تطورا سياسيا و اقتصاديا توجته الثورات البرجوازية في البلدين ، بينما كانت ألمانيا المجزأة إلى مجموعة من الدويلات لا زالت تجر ذيول القرون الوسطى على المستوى السياسي و الإديولوجي ، بينما كان النمو الرأسمالي داخلها بطيئ جدا ، و بطبيعة الحال كان للثورة الفرنسية (ثورة برجوازية قامت بفرنسا سنة 1789 و أطاحت بالنظام الملكي) تأثير كبير على المثقفين و الفلاسفة الألمان الذين بدأوا تحت ذلك التأثير ، يدعون إلى الثورة في

ألمانيا ضد الأنظمة الاستبدادية ، و من أجل توحيد ألمانيا ، و هما المطلبان الديموقراطيان الأساسيان لتلك الفترة ، لكن تطور الثورة الألمانية كثورة برجوازية ضد بقايا الإقطاع و النظام الاستبدادي الألماني قد وافق من الناحية التاريخية دخول الطبقة العاملة الأوربية بصفة عامة و الألمانية بصفة خاصة على مسرح التاريخ ، خلافا لما كانت عليه شروط الثورتين الانجليزية و الفرنسية ، فبعد انكشاف طبيعة هاتين الثورتين و شعاراتها الكاذبة حول الأخوة و المساواة و الحرية و تبيان طبيعتها الطبقية في خدمة البرجوازية ، ثم انفضاح طبيعة الديموقراطية البرجوازية كدكتاتورية الأقلية على الأغلبية ، تحركت الطبقة العاملة للنضال ضد النظام الجديد كنظام استغلالي طبقي جديد ، و بموازاة ذلك نشأت مجموعة من المذاهب و النظريات الاشتراكية و الشيوعية كتعبير عن الاحتجاج ضد الاستغلال الطبقي الرأسمالي و كمحاولات بدائية لإيجاد بديل عنه ، و انتشر هذا الفكر داخل أوربا و تشكلت على أساسه مجموعة من المنظمات و الأحزاب الاشتراكية و الشيوعية.

★ عرف القرن 19 ثورات علمية كبيرة خاصة في ميدان العلوم الطبيعية أزاحت المناهج الميتافيزيقية في تلك العلوم عن عرشها ، بما يعني تقدما في دراسة الظواهر الطبيعية دراسة شاملة و في ترابطاتها ، و يأتي على رأس هذه الاكتشافات:

1- اكتشاف قانون بقاء الطاقة و تحولها و هي خطوة هامة على طريق فهم حركة المادة و تطورها.

2 - اكتشاف الخلية الحية في علم البيولوجيا باعتبارها أساس وجود الكائنات الحية (إنسان ، حيوان ، نبات) (كل الكائنات الحية مشكلة من خلايا و يتطور الكائن الحي من خلال عملية انشطار دائم وسط الخلايا فتموت الخلية لتولد أخرى).

3 - نظرية داروين (1809 - 1882) حول تطور الأنواع (نظرية النشوء و الإرتقاء) ، و التي شكلت ضربة للفكر الميتافيزيقي و الديني ، لأنها تبين من جهة كيف نشأت الأنواع (النبات ، الحيوان ، الإنسان) من البسيط إلى المعقد ، و كيف يتسلسل ذلك التطور بحيث تنشأ من داخل كل نوع أنواع أخرى. و قد اكتشف شارل داروين كيف انبثق الإنسان عن فصيلة مشتركة مع القرود ، و قد شكلت نظريته بشكل عام ضربة قاضية لنظرية "الخلق الدينية" (كرياسيونيزم) و للمناهج الميتافيزيقية في علوم الإناسة و غيرها.

★ في ألمانيا التي كانت تعتبر بلدا متخلفا بالنسبة لدرجة نموها الاقتصادي (كانت الرأسمالية تتطور بشكل جنيني و بطيئ في بداية القرن 19) فقد كانت على المستوى الفلسفي تزخر بنشاط فكري و ازدهار فلسفي كبير توج بظهور فلاسفة عظام من أمثال إيمانويل كانط و شوبنهاور و فيختة و فردريك هيجل قمة الفلسفة الكلاسيكية الألمانية إلى جانب ليودفيغ فيورباخ ، و قد خصص انجلز كتابه في هذا الموضوع تحت عنوان "ليودفيغ فيورباخ و نهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية".

لقد ساهمت فلسفة هيجل في تقديم و تطوير الفكر و المنهج الجدليين ، و إن كانت تلك الفلسفة مثالية من حيث إجابتها عن السؤال الأساسي في الفلسفة: أسبقية المادة أم الفكر. و قد ساهم فيورباخ بدوره من خلال

نقده للفلسفة الهيجلية في تطوير الفلسفة المادية بإعطائه الأولوية للمادة على الفكر. و من المعلوم أن كلا من كارل ماركس و فردريك انجلز قد تأثرا بهذين الفيلسوفين من حيث تشبعهما بالفكر الديالكتيكي الهيجلي ، لكن جعلاه يقف على قدميه بعد أن كان يقف على رأسه ، و ذلك بإعطائه الأساس المادي ، و عندما صدرت كتابات فيورباخ المدافعة عن المادية اعتبرا ذلك خطوة عظيمة سيستفيدان منها كثيرا فيما بعد ، و لذلك تعتبر الماركسية نفسها مدينة لهذين الفيلسوفين الكبيرين.

شكلت هذه الشروط عموما السياق العام لنشأة الفكر الماركسي و نظريته الثورية ، و قد ساعد على هذه النشأة الانخراط المبكر لكل من كارل ماركس و فردريك انجلز في مختلف النضالات السياسية و الفكرية و الفلسفية التي كانت تزخر بها المرحلة على الصعيد الأوربي و على صعيد ألمانيا ، فانخرطا في العمل الصحافي و السياسي و الثقافي و العلمي و الفلسفي الثوري ، على قاعدة الانتماء للنضال الديموقراطي الثوري بداية ثم الانتقال إلى النشاط الشيوعي الثوري بعد ذلك. و في سياق كل هذا اكتشفا الدور التاريخي للطبقة العاملة كحاملة مشروع مجتمعي ثوري ، و قد ساعدهما على ذلك نشاطهما المكثف في مجموعات منظمة تم خلقها من طرفهما (المجموعات المسماة "لجان المراسلات الشيوعية") ، أو كانت قائمة فقاما بتطويرها و تثويرها و وضع البرنامج الثوري لها و قواعد العمل التنظيمي داخلها مثال "العصبة الشيوعية" التي شكل "البيان الشيوعي" الذي قام بصياغته كل من كارل ماركس و فردريك انجلز أول بيان سياسي لحزب ماركسي.

في بوتقة النضالات العمالية و الفلسفية و السياسية و الفكرية نشأت الماركسية و تطورت على أيدي مؤسسيها العظيمين كارل ماركس و فردريك انجلز. و قد ساهم نقدهما لأهم النظريات الفلسفية و الاقتصادية و السياسية في نشوء الفكر الماركسي ، على قاعدة مادية جدلية و تاريخية أدت إلى اكتشافات علمية و فلسفية كبيرة.

لقد شكلت الماركسية ثورة فلسفية جديدة فتحت الباب لتطور علم الثورة الماركسي ، القائم على وحدة متينة للديالكتيك و المنطق و نظرية المعرفة ، و على دور تاريخي للطبقة العاملة ، الذات الثورية ، الحاملة للمشروع الثوري التاريخي. و قد ساهم هذا النقد الثوري في بناء المصادر الثلاثة للفكر الماركسي ، الذي انبنى على مساهمات نقدية حاسمة أدت إلى ثورات ثلاث:

- ثورة فلسفية (المادية الجدلية و التاريخية).

- ثورة في الاقتصاد السياسي (نظرية القيمة و فائض القيمة).

- ثورة في المجال السياسي (نظرية الاشتراكية العلمية).

1 ـ الثورة الفلسفية

(المادية الجدلية و المادية التاريخية)

لقد اهتم ماركس منذ ريعان شبابه بالفلسفة الهيجلية ، و تأثر كذلك بفلسفة فيورباخ المادية ، إلا أن كل من كارل ماركس و رفيقه في النضال فردريك انجلز ، لم يقفا عند هذا الحد ، بل قاما بنقد ثوري جذري لفلسفتهما ، مؤسسين بذلك فلسفة المادية الجدلية و التاريخية ، و هما السلاحان الأساسيان للطبقة العاملة في نضالها ضد الفكر الطبقي البرجوازي بكل منوعاته ، إنها فلسفة البراكسيس الثوري التي أسست لعلم الثورة البروليتاري.

2 ـ ثورة في الاقتصاد السياسي

كانت بريطانيا في مجال الاقتصاد السياسي ، البلد الأكثر تطورا من الناحية النظرية ، لكونها كانت البلد الرأسمالي الأكثر تقدما ، و لذلك نشأ فيها عدد مهم من كبار المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية ، و في مقدمتهم كل من أدم سميث (1723 - 1790) و دافيد ريكاردو (1772-1823) ، و قد قاما كلاهما بمساهمة في تبلور نظرية القيمة ، إلا أنهما بحكم انتمائهما الطبقي و دفاعهما عن الطبقة الرأسمالية ضد الإقطاع ، لم يستطيعا سبر جوهر نظرية القيمة ، و كان كارل ماركس الذي طبق الديالكتيك المادي على الاقتصاد السياسي ، من اكتشف لأول مرة نظرية فائض القيمة التي قال عنها لينين بأنها حجر الزاوية في النظرية الاقتصادية الماركسية. و قد ساهمت نظرية القيمة عند ماركس في تسليح الطبقة العاملة ، بنظرية علمية في صراعها ضد البرجوازية و النظام الرأسمالي ، و جعلت من الاشتراكية نظرية علمية بعدما كانت نظرية طوباوية.

3 ـ ثورة في المجال السياسي

(الاشتراكية العلمية)

كانت فرنسا بحكم الخصوصية التاريخية (ثورة 1789 و ما تلاها من ثورات و تغيرات سياسية في فرنسا) ، البلد الذي عرف انتشارا كبيرا للنظريات الاشتراكية ، التي أعطت أسماءا بارزة في هذا المجال منهم شارل فوريي (1772- 1837) ، سان سيمون (1760 — 1825) ، برودون (1809 — 1865) إضافة إلى الانجليزي الاشتراكي الطوباوي روبرت أووين(1772- 1858).

و إذا كانت الاشتراكية ما قبل الماركسية قد أعطت أفكارا جنينية و تصورات أولية مهمة عن الاشتراكية أو الشيوعية ، إلا أنها ظلت طوباوية في مشروعها لتغيير المجتمع الرأسمالي ، الذي اعتمد على النقد أو النصح الأخلاقي و التوجه إلى كل من البروليتاري و البرقيام بهذا

التغيير ، و في كل هذا ظلت عاجزة عن إدراك قوانين النظام الرأسمالي و قوانين التطور التاريخي ، مما أفقدها أي طابع علمي و غيب عن منظورها ذلك الدور الثوري للطبقة العاملة ، صاحبة المشروع التاريخي الجديد ، لذلك أطلق عليها اسم "الاشتراكية الطوباوية" ، في مقابل الاشتراكية العلمية التي أسس لها كل من كارل ماركس و فردريك انجلز (انظر كتاب انجلز "الاشتراكية الطوباوية و الاشتراكية العلمية").

إن كل محاولة لتقديم تعريف شامل للماركسية ، لا بد أن تتوقف عند التعريف الذي أعطاه أحد تلامذة كارل ماركس الثوريين: فلادمير إليتش أوليانوف لينين حيث يقول:

"إن مذهب ماركس هو كلي القدرة ، لأنه محق ، إنه متناسق و كامل ، و هو يعطي مفهوما متماسكا عن العالم ، غير متوافق مع أي ضرب من الانحرافات و مع أي نوع من الدفاع عن الطغيان البرجوازي ، إنه الوريث الشرعي لأفضل ما أبدعته الإنسانية في القرن 19 ،ـ الفلسفة الألمانية و الاقتصاد السياسي و الاشتراكية الفرنسية". انظر مقالة لينين"مصادر الماركسية الثلاثة و أقسامها المكونة الثلاثة".

و خلاصة القول ، تقوم الماركسية على مرتكزين أساسيين (سنعمل على توضيحهما في عروض لاحقة) ، هما المادية الجدلية و المادية التاريخية. فالديالكتيك علم القوانين العامة لتطور الطبيعة و الفكر الإنساني (الديالكتيك الموضوعي و الديالكتيك الذاتي) و المادية التاريخية التي هي علم تطبيق المادية الجدلية على تاريخ المجتمع البشري بجميع مراحله و أنماطه المختلفة ، و تقوم على مقولة الصراع الطبقي باعتباره محركا للتاريخ : "إن تاريخ كل مجتمع إلى يومنا هذا (ثم يضيف انجلز فيما بعد: ما عدا تاريخ المشاعية البدائية) لم يكن سوى تاريخ صراع بين الطبقات" ("البيان الشيوعي" ، كارل ماركس ، فردريك انجلز) ، و على الجماهير المنتجة باعتبارها صانعة التاريخ.

إن هذا الطرح شكل ضربة قوية لكل المفاهيم المثالية و الفلسفية و النخبوية الرجعية للتاريخ (العظماء من ملوك و سلاطين و أباطرة هم صناع التاريخ ، أو كما يقال اليوم "الفاعلون السياسيون " أي النخب المتسلطة على رقاب الجماهير).

في 29 دجنبر 2014

مصادر الماركسية الثلاثة

لينين

- ملخص -

علي محمود

"**إن مذهب ماركس بالغ القوة لأنه صحيح**" - لينين -

كتب لينين هذه المقالة سنة 1913 بمناسبة مرور 30 سنة على وفاة كارل ماركس. و تعتبر هذه المقالة جزءا من مجموعة مقالات كتبها لينين عن كارل ماركس و الماركسية و هي:

- كارل ماركس (كتبت في يوليوز – نونبر 1914)

- المآل التاريخي لمذهب كارل ماركس (كتبت في مارس 1913)

- الماركسية و النزعة التحريفية (كتبت في النصف الثاني من مارس 1908)

- الماركسية و الإصلاحية (كتبت في 12 شتنبر 1913)

في مقدمة المقالة يدافع لينين عن مذهب ماركس ضد أعدائه البرجوازيين و ممثلي العلم البرجوازي ، و في سياق هذا الدفاع أكد لينين على فكرة انعدام علم اجتماع غير متحيز في مجتمع قائم على الصراع الطبقي و يقول:" يثير مذهب ماركس أشد عداء و حقد العلم البرجوازي كله (سواء الرسمي أو الليبرالي) في العالم المتمدن بأسره ، إذ يرى الماركسية ضربا من "بدعة ضارة". ليس بالإمكان توقع موقف آخر إذ لا يمكن أن يكون هناك علم اجتماع غير متحيز في مجتمع قائم على الصراع الطبقي ، فكل العلم الرسمي و الليبرالي يدافع بصورة أو بأخرى عن العبودية المأجورة ، بينما أعلنتها الماركسية حربا بلا هوادة ضد هذه العبودية. أن تطلب علما غير متحيز في مجتمع قائم على العبودية المأجورة ، لمن السذاجة الصبيانية ، كأن تطلب من أصحاب المصانع عدم التحيز في مسألة ما إذا كان يجدر تخفيض أرباح الرأسمال من أجل زيادة أجر العمال".

تحتفظ أطروحة لينين هذه على راهنية كبيرة في عصرنا حيث ينخرط علماء و مثقفو و كلاب الحراسة لذى الرأسمالية ، إضافة إلى ممثلي الكنائس و الديانات و

المرتزقة من كل حذب و صوب في هجوم شرس على المبادئ المؤسسة للفكر الماركسي من مادية و ديالكتيك واشتراكية.

يرى لينين أن التأكيد على تلك الأفكار لا يعني انعزالية الفكر الماركسي بل بالعكس كما يقول:

"فإن عبقرية ماركس تكمن كلها بالذات في أنه أجاب على الأسئلة التي طرحها الفكر الإنساني التقدمي ، و قد ولد مذهبه تتمة مباشرة فورية لمذاهب أعظم ممثلي الفلسفة و الاقتصاد السياسي".

و يعني ذلك أن الماركسية هي الوريث الشرعي كما يقول لينين لخير ما أبدعته الإنسانية في القرن 19 : الفلسفة الألمانية ، الاقتصاد السياسي الانجليزي و الاشتراكية الفرنسية. هكذا إذن حدد لينين مصادر ثلاثة للماركسية و اعتبرها في نفس الوقت أقسامها المكونة الثلاثة.

1 ـ المادية هي فلسفة الماركسية

يعتبر لينين أن المادية هي فلسفة الماركسية على اعتبار أن المادية هي الفلسفة الوحيدة المنسجمة إلى النهاية مع جميع مبادئ العلوم الطبيعية و الأمينة لها ...

و ذكر لينين بدور فلسفة المادية في أوربا و خاصة في فرنسا أواخر القرن 18 حيث كان يجري صراع ضاري ضد كل نفايات العصور الوسطى أي ضد الإقطاعيين في المؤسسات و الأفكار ، و قد حاول أعداء البرجوازية بكل قواهم دحض المادية و تقويضها و الافتراء عليها مدافعين عن كل أشكال المثالية الفلسفية التي تعود كلها في الأخير إلى الدفاع عن الدين أو نصرته.

لقد دافع ماركس و انجلز خلال حياتهما النضالية و العلمية و الفلسفية عن المادية الفلسفية و تصديا لكل انحراف عن هذا الاتجاه ، و كتابي انجلز "ليودينغ فيورباخ " و "ضد دوهرينغ" أشهر من نار على علم ، و قد وضعهما لينين على نفس درجة التفضيل من "البيان الشيوعي" لدى كل عامل واعي.

لم يتوقف ماركس عند مادية القرن 18 بل أغناها هو و رفيقه انجلز بمكتسبات الفلسفة الكلاسيكية الألمانية ، و لا سيما بإسهامات كل من الفلسفة الهيجلية ، و أهمها الديالكتيك أي نظرية التطور كما قال لينين ، بأكمل مظاهرها و أشده عمقا و أكثرها بعدا عن ضيق الأفق و نظرية نسبية المعارف الإنسانية التي تعكس المادة في تطورها الدائم ، و قد أثبتت اكتشافات العلوم الطبيعية صحة مادية ماركس الديالكتيكية.

و من جهة المادية الفلسفية قام ماركس و انجلز بتطوير مادية فيورباخ و الدفع بالمادية حتى نهايتها المنطقية عبر ربطها ربطا عضويا بالديالكتيك ، فتوسع نطاقها من معرفة الطبيعة إلى معرفة المجتمع البشري ، فكان أن تبلور علم جديد أطلق عليه المادية التاريخية ، و اعتبر لينين ذلك الاكتشاف "نظرية علمية رائعة التناسق و التجانس و الانسجام ، تبين كيف ينبثق شكل آخر أرفع و كيف يتطور من شكل معين من التنظيم الاجتماعي ، و من جراء نمو القوى المنتجة - كيف تولد الرأسمالية من الإقطاعية مثلا. و قياسا على كون معرفة الإنسان تعكس

الطبيعة القائمة بصورة مستقلة عنه ، أي المادة في طريق التطور ، كذلك تعكس معرفة الإنسان الاجتماعية (مختلف الآراء و المذاهب الفلسفية و الدينية والسياسية ...) نظام المجتمع الاقتصادي. فالمؤسسات السياسية هي بناء فوقي يقوم على أساس اقتصادي ، و كمثال على ذلك ، فمختلف الأشكال السياسية للدول الرأسمالية هي أدوات لتعزيز سيطرة البرجوازية على البروليتاريا.

يقول لينين :

"إن فلسفة ماركس هي مادية فلسفية كاملة ، أعطت الإنسانية و الطبقة العاملة بصورة خاصة أدوات جبارة للمعرفة".

دون الدخول في عرض مفصل عن أهمية ما تشكله المادية الفلسفية عموما و المادية الماركسية خصوصا من سلاح في يد القوى الثورية على طريق بناء المجتمع المتحرر من الاستغلال و الاضطهاد و الاستيلاب ، أي المجتمع الشيوعي ، فالطرح اللينيني هنا يثبت أهمية المادية الفلسفية في مواجهة الأوهام الدينية و المثالية كما حصل مع مادية القرن 18 (ديدرو و الفلاسفة الموسوعيين بفرنسا) و لذلك قيمة تاريخية تثبت كيف تم إسقاط الفكر الديني و مؤسساته القروسطية في أوربا على يد الفلسفة المادية في عصر الصراع بين البرجوازية و الإقطاع ، أما برجوازياتنا في العالم العربي كبرجوازيات هجينة في خدمة الرأسمال الامبريالي لم تستطع و لا كان لها طموح في ذلك الصراع ضد المؤسسة الدينية و مشايخها مفضلة التعايش معها و استعمالها لخدمة مصالحها ، و حينما ينقلب السحر على الساحر بإيعاز من الامبريالية و خدمة لاستراتيجياتها المختلفة فتتحرك جيوش المتطرفين الظلاميين لتخريب كل مظاهر الفكر و الحضارة في أشرس و أسوء حملة على الشعوب و على الفكر التنويري و التقدمي ،تدعي برجوازياتنا الكبيرة منها و الصغيرة استعدادها لمواجهة الفكر الظلامي عن طريق الدين و المؤسسات الدينية التي خرج من عباءتها الفكر الظلامي الممول بالبترودولار من طرف مختلف أجهزة المخابرات الرجعية و المدعم من طرف الامبريالية العالمية و الكيان الصهيوني.

إن هذا لذو قيمة كبرى حين نعلم أن أغلب مثقفينا و مفكرينا تخلو عن مواقفهم و مواقعهم الفكرية السابقة لصالح الليبرالية و لصالح خدمة المصالح الامبريالية المتعددة (منظمات المجتمع المدني ، اتفاقات الشراكة مع مراكز التمويل الامبريالي...). و للتغطية عل طبيعة الصراع الدائر في المنطقة العربية يتم التعتيم على الصراع الطبقي تحت مسميات مختلفة منها صراع العلمانيين و الإسلاميين ، علما أن الطرفان المعنيان كل منهما في خدمة الرأسمالية و الامبريالية العالمية.

2 ـ الاقتصاد السياسي

لقد رأينا في الجزء الأول كيف انتقل ماركس من المادية الفلسفية إلى اكتشاف قوانين تطور المجتمع البشري ، فتم اكتشاف المادية التاريخية التي أظهرت له أن النظام الاقتصادي يشكل الأساس الذي يقوم عليه البناء الفوقي السياسي و كل أشكال الوعي الإديولوجي. و لدراسة هذا النظام الاقتصادي كرس ماركس جزءا كبيرا من حياته العلمية و النضالية لدراسة النظام الاقتصادي في المجتمع الرأسمالي و كتابه "الرأسمال" مشهور في هذا الصدد.

ماركس و الاقتصاد السياسي الكلاسيكي

قبل ماركس كان الاقتصاد السياسي الكلاسيكي قد عرف تطورا كبيرا في البلد الذي كان يعرف تطورا كبيرا للرأسمالية أي بريطانيا ، و كان على ماركس أن يقوم بدراسة نظريات أدام سميث و دافيد ريكاردو في مجال النظام الاقتصادي و استطاع ماركس أن يسجل وجود بداية نظرية القيمة من وجهة نظر العمل لدى سميث و ريكاردو ، فانطلق من عملهما و قام بتطويره ليضفي على نظرية القيمة أساسا علميا خالصا ، و بين أن قيمة كل سلعة تتوقف على وقت العمل الضروري اجتماعيا لإنتاج هذه السلعة.

و فيما كان الاقتصاديون البرجوازيون يرون علاقات بين الأشياء (مبادلة سلعة بسلعة أخرى) ، اكتشف ماركس علاقات بين الناس. فتبادل السلع يعبر عن الصلة القائمة بوساطة السوق بين المنتجين المنفردين ، كما أن قوة عمل الإنسان نفسها تغدو سلعة ، فالأجير يبيع قوة عمله لصاحب المصنع و مالك الأرض مستخدما قسما من يوم عمله لتغطية نفقات إعالته و إعالة أسرته (و هذا ما يسمى بالأجر).و يستخدم القسم الآخر من قوة العمل مجانا خالقا بذلك لحساب الرأسمالي ما يطلق عليه ماركس بفائض القيمة ، و هو مصدر ربح و إثراء الطبقة الرأسمالية و محركة عملية التراكم الرأسمالي ، و قد كان هذا الاكتشاف ثورة حقيقية في الاقتصاد السياسي سلح البروليتاريا ضد أعدائها الطبقيين بنظرية علمية ، يقول لينين في هذا الصدد:

"إن نظرية فائض القيمة تشكل حجر الزاوية في نظرية ماركس الاقتصادية"

كما يقول في مكان آخر

"إن النظام الرأسمالي يزيد من تبعية العمال للرأسمال و يخلق في الوقت نفسه قدرة العمل الموحد الكبيرة"

"لقد انتصرت الرأسمالية في العالم بأسره لكن هذا الانتصار ليس سوى مقدمة لانتصار العمل على الرأسمال"

لقد مرت عشرات السنين على هذا الاكتشاف العلمي المدوي و توالت خلالها محاولات دحض هذه النظرية من طرف علماء الاقتصاد البرجوازي و غيرهم وفي كل مرة تخرج فيها الماركسية منتصرة ، و لعل أزمة 2008 المستمرة جعلت منظري و ساسة و رؤساء الدول الامبريالية يهرولون إلى قراءة كتاب"الرأسمال" في

محاولة لاستنكاه طبيعة أزمة الرأسمالية المستمرة منذ منتصف السبعينات رغم كل الترقيعات و منها ما سمي بالنيولبرالية (التي تم تعميمها و فرضها على بلدان العالم و شعوبه).

3ـ ماركس و الاشتراكية

ما أن تم القضاء على النظام الإقطاعي و رأى المجتمع الرأسمالي "الحر" النور ، حتى تبين أن هاته الحرية لم تكن سوى نظاما جديدا لاستغلال و اضطهاد الطبقة العاملة ، و على الفور بدأت تنبثق شتى المذاهب الاشتراكية كرد فعل على هذا الاضطهاد و احتجاجا عليه ، لكن الاشتراكية ما قبل ماركس كانت طوباوية (خيالية). لقد انتقدت المجتمع الرأسمالي و حلمت بإزالته و تخيلت نظاما اجتماعيا آخر و حاولت إقناع الأغنياء أن الاستغلال منافي للأخلاق ، و لذلك ظلت غير قادرة على إيجاد مخرج حقيقي لكونها كانت عاجزة عن تفسير طبيعة العبودية المأجورة في ظل النظام الرأسمالي ، بمعنى آخر كانت عاجزة عن اكتشاف قوانين التطور الرأسمالية ، و عن إيجاد القوة الاجتماعية القادرة على خلق المجتمع الجديد ، و هو الأمر الذي قام به كارل ماركس و رفيقه فردريك انجلز عندما اكتشفا نظرية فائض القيمة و الطبقة الثورية في المجتمع الرأسمالي الخالقة لفائض القيمة حجر الزاوية الذي تقوم عليه الرأسمالية ، و استخلص ماركس كذلك من التاريخ السياسي للنضال ضد الإقطاع في أوروبا ثم احتداد الصراع بعد انفضاح المجتمع البرجوازي كمجتمع اضطهادي استغلالي ، قانون الصراع الطبقي الذي يشكل محركا للتاريخ و يعتبر الجماهير البرولتارية و الكادحة و المنتجة هي القوة الصانعة للتاريخ.

هكذا قام بقلب لمفهوم للتاريخ السائد آنذاك جاعلا من الجماهير صانعته الأساسية و قانون الصراع الطبقي محركه ، و قد كان لهذا الأثر الكبير على المفاهيم الإديولوجية و السياسية و التاريخية و الفكرية في علم التاريخ.

يقول لينين:

"لقد كان الناس و سيظلون أبدا أناسا سذجا في حقل السياسة ، يخدعهم الآخرون و يخدعون أنفسهم ما لم يتعلموا استشفاف مصالح هذه الطبقات و تلك وراء التعابير و البيانات و الوعود الأخلاقية و الدينية و السياسية و الاجتماعية ، فإن أنصار الإصلاحات و التحسينات سيكونون أبدا عرضة لخداع المدافعين عن الأوضاع القديمة طالما لم يدركوا أن هذه الطبقات السائدة أو تلك تؤمن وجود كل مؤسسة قديمة مهما ظهر فيها من بربرية و اهتراء ، فلكي نسحق مقاومة هذه الطبقات ليس هناك سوى وسيلة واحدة هي أن نجد في نفس المجتمع الذي يحيط بنا القوى التي تستطيع ـ و ينبغي عليها بحكم وضعها الاجتماعي ـ أن تغدو القوة القادرة على إزالة القديم و خلق الجديد و أن تثقف هذه القوى و تنظمها للنضال"

يقول لينين تتويجا لهذا الكلام:

"لقد بينت مادية ماركس الفلسفية للبروليتاريا الطريق الواجب سلوكه للخروج من العبودية الفكرية التي كانت تتخبط فيها جميع الطبقات المظلومة حتى ذلك الحين ، و نظرية ماركس الاقتصادية وحدها هي التي أوضحت وضع البروليتاريا الحقيقي في مجمل النظام الرأسمالي".

"و البروليتاريا تتعلم و تتربى في غمرة نضالها الطبقي و تتحرر من أوهام المجتمع البرجوازي و تزداد تلاحما على الدوام و تتعلم كيف تقدر نجاحاتها حق قدرها و توطد قواها و تنموا بشكل لا مرد له".

إن حقيقة هذا الطرح اللينيني تثبتها الوقائع التاريخية بحيث لا زالت البروليتاريا العالمية و قواها الثورية تتعلم باستمرار من الصراع داخلها ضد كل الخطوط الإصلاحية و التحريفية و الفوضوية و تنهض من كبوتها استعدادا لمعارك القرن 21 الحاسمة من أجل التحرر الوطني و الاشتراكية و الشيوعية.

26 دجنبر 2014

حول الاشتراكية

ل "إنجلز" في "ثورة السيد دوهرينغ في العلوم" ("أنتي .دوهرينغ")

حمو العبيوي

تمهيد:

قبل أن نعرض ملخصنا حول "الاشتراكية" التي بلورها "فريدريك إنجلز" ، أحد مؤسسي الفكر و الحركة الشيوعية الثورية بجانب "كارل ماركس" ، في كتابه "ثورة السيد دوهرينغ في العلوم" المعروف اختصارا بكتاب "أنتي . دوهرينغ" ، نقدم بداية بعضا من المعطيات التاريخية المرتبطة ببلورة "انجلز" لهذا الكتاب الذي اعتبره "لينين" ، إلى جانب البيان الشيوعي ، أساسيا و ضروريا للعمال ، كونه يحمل النظرة البروليتارية للعالم.

1 .في بعض المعطيات التاريخية المرتبطة بال "أنتي . دوهرينغ":

أ . "كارل أوكن دوهرينغ" و أفكاره:

هو الأستاذ المحاضر و المقال من جامعة برلين بعد أن كان دارس قانون و محامي ، دافع و دعا إلى أيديولوجيا التعاون و العمل التشاركي بين العمال و الرأسماليين ، أو ما تنعته "الأوساط الأكاديمية" التي هي في غالبيتها العظمى ليبرالية الصنع و التوجه ، بالخط الوسطي بين الليبرالية و الاشتراكية ، و ذلك بعد انجذابه و بقوة إلى أطروحة "الانسجام النهائي و الأبدي" بين مصالح الرأسماليين و العمال ، التي بلورها الاقتصادي "هنري شارلز كاري"[1] في أطروحته حول القيمة. هذا الأخير ، هو بالمناسبة مدير "المدرسة الأمريكية للرأسمالية" ، و كبير المستشارين الاقتصاديين للرئيس الأمريكي "أبراهام لنكولن" ، و الذي بدوره تأثر و بشكل عميق بأفكار الاقتصادي القومي الألماني "فريدريك ليست" ، الذي عمل قنصلا لأمريكا بألمانيا بعد عودته من لجوئه إليها و تحصيله لجنسيتها. فمن هذا الأخير ، استمد السيد "دوهرينغ" أفكاره الاقتصادية التي اعتبرها حين كان أستاذا جامعيا "أول تقدم حقيقي للاقتصاد منذ أول نشر لمؤلف "بحث في طبيعة و أسباب ثروة الأمم" المعروف اختصارا ب "ثروة الأمم" ل "ادم سميت" سنة 1776 ". فقد أشار إليه كذلك "انجلز" في "أنتي .دوهرينغ" ص 215 ، حيث كتب: " لقراءة ما كتبه دوهرينغ حول الماركنتيلية ، يستحسن العودة إلى الأصل في كتاب فريدريك ليست . "النظام القومي للاقتصاد.السياسي". لن يفوتنا هنا ، و بكل تأكيد ، النقد الذي قدمه "كارل ماركس" لتلك الأطروحات في إحدى مخطوطاته التي

1- "شارلز كاري" هو مؤلف كتاب "انسجام المصالح" . 1851.

تعود لسنة 1845 ،.تحت عنوان "ملاحظات نقدية حول فريدريك ليست" ، و التي لم تنشر الأجزاء المتبقية منها لأول مرة إلا سنة 1971 : "نقد لكتاب .النظام القومي للاقتصاد السياسي .ل "فريدريك ليست" 1841 "[2].

للإشارة هنا ، فالأطروحات الاقتصادية لهذا القومي الألماني ، "فريدريك ليست" ، التي أخذها عنه السيد دوهرينغ ، كانت هي الأكثر اعتبارا و تقديرا بألمانيا ، زمن أزمة 1929 و صعود الفاشية الدموية سنة 1932 . كما يمكن ، في هذا الاتجاه ، تلمس بعض مواقف و قراءات اليمين العنصري الألماني للسيد دوهرينغ فيما كتبه مثلا "كارل هاينز وايزمان" في مقالته "عصر الاشتراكية القومية" ، بمجلة "الدراسات التحررية" 02/12 ،. 1996 ص 216 : " أن دوهرينغ كان مدافعا متحمسا منذ 1865 عن نظرية « La théorie des descendants» ، و حافظ ، في مواجهته ل"كارل ماركس" و "فردينارد لسال" ، على فكرته في وجود نوع خاص من "اشتراكية الشعب الآري". كما أن الأفكار التي جاء بها دوهرينغ في كتابه "المسألة اليهودية كمسألة عرقية ، أخلاقية و ثقافية ، مع الإجابة التاريخية العالمية ل أوكن دوهرينغ" سنة 1881 ب "ليبزغ" ، شكلت الأرضية الإيديولوجية الفعلية التي اعتمدها الصهيوني "هرتزل" ، و بشهادة هذا الأخير في إحدى رسائله المؤرخة بسنة 1890 ، لطرح الحل الصهيوني للمسألة "اليهودية" ، و تهيئ عملية بناء نظام الكيان الصهيوني الغاصب على أرض شعب فلسطين.

ب .ال "نتي .دوهرينغ": ضرورة فكرية ، سياسية و تاريخية:

في طور التقارب الذي عرفه تيار "اللساليين" الإصلاحي و التيار الماركسي ب "إيزناخ" تحت قيادة "ليبكنيخت" و "بيبل" ، و على طريق الوحدة و تشكيل "حزب العمال الاشتراكي الألماني"[3] ، عمل "دوهرينغ" بعد تحوله المفاجئ ل"الاشتراكية" ، و تقديمه لأطروحته التي قال أنها "نظرية شاملة"[4] ، على خلق مجموعة ستشكل في سيرورتها حين أخذت أطروحته طريقها وسط العمال الاشتراكيين الألمان ، نواة تيار انقسامي وجد تعبيره بعد ذلك ، وسط الحزب ، في التوجه التحريفي الإصلاحي ل "برنشتاين" المدافع المخلص الأمين ، المرتبط منذ سنوات تكوينه الفكري بأطروحة "دوهرينغ" حول الاشتراكية و الطريق لتحقيقها. هذه الأخيرة ، و وفق السيد و تلميذه معا ، وجب أساسا تضمينها عناصر الاقتصاد الليبرالي ، مع التثبيت السياسي غير المنفصل عن عناصر ذاك التضمين اللبرالي ، على قاعدة السلمية و القانونية و الانتخابوية كشرط قبلي و مسبق ، لوصول العمال إلى السلطة السياسية ، بدلا عن الطرح الماركسي في الصراع الطبقي و العنف و الثورة.

في هذا السياق ، و تتويجا للعديد من المراسلات بين "انجلز" و بين "ماركس" ، "بيبل" ، "ليبكنيخت" و غيرهم... ، هذا الأخير حذر ، و بقوة ، من الخطر ، و الانحراف الإيديولوجي و السياسي الذي تشكله أطروحة "دوهرينغ" في أوساط العمال الاشتراكيين الألمان[5].

2 – يمكن الاطلاع على مجموعة من فقراتها في المجلد الثالث "أعمال كارل ماركس" مكتبة "البلياد" . "فلسفة" . 1982 . الصفحة 1418 إلى 1451،. تحت عنوان "حول . النظام القومي للاقتصاد السياسي . لفريدريك ليست" . التي ترجمها كل من "ماكسيمليان روبل" و "إيفون بروتين".

3– مؤتمر "غوتة" 22 مايو 1875.

4 – أطروحة براغماتية مستندة جوهريا و بالأساس على "حق الفرد".

5– هناك ما يزيد عن 23 مراسلة بين "ماركس" و "انجلز" حول موضوع "دوهرينغ" و ضرورة التصدي لأطروحته. أنظر الأعمال الكاملة، م. 34 من الطبعة الألمانية، ص 17 . 19، رسالة

انخرط "انجلز" في معركة التصدي لأطروحة "دوهرينغ" ، و العمل على بلورة الرد عليها ابتداء من نهاية شهر مايو 1876 ،ـ بعد قراره توقيف عمله حول "ديالكتيك الطبيعة" الذي كان قد ابتدأ فيه العمل منذ سنة 1873[6]. جاء الرد بداية على شكل سلسلة مقالات نشرت في الجريدة المركزية للحزب الاشتراكي الألماني: "إلى الأمام" ب "ليبزغ" من 3 يناير 1877 إلى 7 يوليوز 1878 ،.حيث حملت سلسلة الأقسام الثلاثة ، و على التوالي العناوين التالية: سلسلة القسم الأول: "ثورة السيد دوهرينغ في الفلسفة" التي صاغها "انجلز" من سبتمبر 1876 إلى يناير 1877 ، و نشرت على الصفحة الرئيسية للجريدة المركزية من 3 يناير إلى 13 مايو 1877 ،ـ سلسلة القسم الثاني: "ثورة السيد دوهرينغ في الاقتصاد السياسي" ، تمت صياغته من يونيو إلى غشت 1877 ،ـ بمساهمة "كارل ماركس" الكبيرة ، و الذي نشر من 27 يوليوز إلى 30 ديسمبر 1877 على "الملحق العلمي" ، و ليس على الصفحة الرئيسية للجريدة المركزية ، و هو حل اقترحه "ليبكنيخت" في مواجهته لأتباع "دوهرينغ"[7] ، الذين رفضوا قطعيا نشر تلك السلسلة من المقالات النقدية على صفحات الجريدة المركزية للحزب ، دفاعا منهم عن سيدهم ، و عن أفكاره تحت غطاء مصلحة الحزب ، و طول مقالات "انجلز". القسم الثالث: "ثورة السيد دوهرينغ في الاشتراكية" الذي صاغه "انجلز" من غشت 1877 إلى بداية أبريل 1878 ،ـ و الذي نشر كذلك على ملحق الجريدة المركزية من 5 مايو إلى 7 يوليوز 1878 ، ليتم بعد ذلك طبعها كاملة ب "ليبزغ" ، بعد مصادقة اللجنة المركزية ، في 12 يوليوز 1878 ،.في حجم واحد ، شكل عمليا قطيعة ثورية و اختراقا عميقا للمراكز العمالية الألمانية ، تحت عنوان " ثورة السيد دوهرينغ في العلوم ، الفلسفة ، الاقتصاد السياسي و الاشتراكية" ، و الذي استقر قيد حياة "انجلز" على عنوان "ثورة السيد دوهرينغ في العلوم" ، ليأخذ بعدها عنوان "أنتي . دوهرينغ".

ختاما لهذه المعطيات التاريخية ، التي ارتأينا ضرورة التدقيق في بعض أهم عناصر صورتها العامة ، التي طبعت طورا مهما من الصراع الفكري و السياسي ، الذي فيه تبلورت الأسس الفلسفية و الفكرية و السياسية للنظرية الشيوعية الثورية ، مرحلة تبنينها المتصاعد ، و على الخصوص الصراع ضد التوجهات التي أعلنت وقتها انتسابها بهذا القدر أو ذاك للنظرية الاشتراكية ، نشير إلى أن العنوان الذي وضعه "انجلز" لسلسلة مقالاته تلك ، جاء محاكاة ساخرة و استهزائية بعنوان كتاب "دوهرينغ" لسنة 1865 : "ثورة كاري في العلوم الاقتصادية و الاجتماعية" ، و قصد ""دوهرينغ" هنا ، هو معلمه الاقتصادي الأمريكي "شارلز كاري"[8].

"انجلز" ل"ماركس" بتاريخ 28 مايو 1876،ـ التي فيها وضع تصميمه العام للرد على أفكار "دوهرينغ"، و هي جواب على رسالة "ماركس" ل 25 مايو.

6- أنظر رسالة "انجلز" ل"ماركس" بهذا الصدد ، و المؤرخة ب 30 مايو 1873 ،ـ التي فيها بلور أفكاره الأساسية "لديالكتيك الطبيعة".

7 - بقيادة "جوهان موست" و "جوليوس فاهلتايخ" خلال مؤتمر "غوتة" 27 . 29 مايو 1877.

8 - عن هذا الاقتصادي الأمريكي، "شارلز كاري"، كتب "دوهرينغ" إجمالا كتابين و العديد من المقالات التي نشرت على "جريدة الصناعة الألمانية"، لسان حال الدوائر التجارية و الصناعية. مقالات "دوهرينغ" تلك، كان يرسلها قبل نشرها إلى معلمه "كاري"، كي يؤكد له هذا الأخير مضامينها أو يعدلها. أنظر بهذا الصدد أطروحة "جيمس جاي" لنيل شهادة الدكتوراه، تحت عنوان "برومتيوس الأعمى للعلوم الاجتماعية الألمانية . أوكن دوهرينغ كفيلسوف و اقتصادي و ناقد اجتماعي مثير للجدل."، بكلية العلوم السياسية جامعة إرفورت . 2012.

ففي قلب هذا الصراع الفكري و السياسي إذن ، و في معمعان تصاعد النضال ضد النظام الاستبدادي للملك الإمبراطور "جيوم 1" ، تمت بلورة ال"أنتي .دوهرينغ".

2.في الاشتراكية :

حدد "انجلز" الاشتراكية في مضمونها " كنتاج للوعي بالتناقضات الطبقية السائدة في المجتمع المعاصر بين المالكين و غير المالكين ، بين العمال و البورجوازيين من جهة ، و بالفوضى التي تسود الإنتاج من جهة ثانية". أما في شكلها النظري ، يضيف "انجلز" ، فقد "بدت كاستمرارية متطورة و أكثر اتساقا للمبادئ التي وضعها فلاسفة عصر الأنوار بفرنسا القرن الثامن عشر" ، لذا كان عليها ، النظرية الاشتراكية ، يضيف "انجلز": "أن ترتبط و بعمق بجوهر المواد الفكرية الموجودة حينها و السابقة عليها ، و أن تتأصل في عمق جذور حقائقها الاقتصادية."

أ.في بعض عناصر المبادئ العامة ل"عصر الأنوار" زمن صعود البرجوازية:

عمل مفكرو "عصر الأنوار" ، الذين شكل فكرهم الفلسفي للقرن الثامن عشر على الخصوص بفرنسا و انجلترا ، طورا تاريخيا مهما في التطور العام للفكر البرجوازي ، على إعلان و إعلاء "سلطة العقل" أمام سلطة الدولة و الدين. فدعوا إلى تشطيب أي شيء لا يكمن في وجوده ، أو هو غير قادر على إثبات عقلانيته ، عقلانية عصرهم ، و إلى إدانة كل أشكال المجتمعات و الأفكار السابقة ، و كل الخرافات و الامتيازات وجب تحييدها لإرساء "مملكة و سلطة العقل" عن طريق العدالة و المساواة الطبيعية و المطلقة ، و على أساس حقوق الإنسان الثابتة و الغير القابلة للتصرف. كان هذا العصر و بتعبير هيجل: "العصر الذي وُضِعَ فيه العالم على رأسه"[9].

عن طريق هؤلاء الفلاسفة الذين تصدوا و عملوا على تفكيك و إزالة كل ما هو "لا عقلاني" (و "اللا أخلاقي" بالنتيجة) عن الأفكار السابقة و السائدة ، نازعين الطوق و مهيئين طرق تفكير الناس و وعيهم للثورة ، قدمت البرجوازية الصاعدة و الحاملة لنقيضها الذي هي من دونه لا وجود لها ، نفسها كممثلة لمصالح كل الفئات و الطبقات الاجتماعية المستغَلة ، و على الخصوص مقدمة نفسها كممثلة لمصالح نقيضها الجنيني فيها[10].

9- ليس هنا المجال للخوض في الروابط الداخلية و العميقة بين اقتصاد السوق الذي فيه يبدو الفرد و كأنه مصدر مستقل في قراراته و أعماله و نشاطه، و بين وجهات النظر التي ترى في نفس هذا الفرد المصدر الأول للمعرفة و الفعل. فمنه رفع فلاسفة الأنوار عاليا مطلب الاعتراف بالإدراك و الفهم الفرداني (من الفردانية) كسلطة أسمى ، وجب أن لا تخضع لأي سلطة كيفما كانت. فبنية أصناف التفكير ل"عصر الأنوار" بشكل عام "تتوافق" و بنية اقتصاد التبادل الذي شكل نواة مجتمع البرجوازية الصاعدة المراكِمة لرأس المال المهيأ بدوره للثورة الصناعية.

10- وجب التذكير هنا، أن بداية التشكيلات البرجوازية الأولى كانت مع "النهضة العمرانية" للقرن الحادي عشر بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية و البنية الحضرية التي استندت إليها، و بدايات تبلور أنوية بناء اجتماعي جديدة في شمال إيطاليا و على ساحل البحر الأبيض المتوسط و بحر الشمال و البلطيق، و بروز ما سمي ب "الأوطان الصغيرة للبرجوازية"، على سبيل المثال ب "فلورونس" و "فنيس" و "نورمبرغ" التي بدت و كأنها أوطان مستقلة و قائمة بذاتها، عملت على تشكيل "جمعيات تجارية" موحدة في رابطة ، تسمى ب "هانس" و التي ضمت في صفوفها قبل ذلك مجموعات مسلحة لحماية مصالحها التجارية . ستنازع في البداية ، و تواجه بنية نظام الإقطاع لاكتساب مجموعة من

فما مكنها إذن من ذلك ، أي من عدم تقديم نفسها كممثلة لمصالح طبقة اجتماعية محددة ، مصالحها الطبقية هي فقط ، هو ظرف وجود تناقضها مع أسياد الإقطاع إلى جانب التناقض الكوني بين المستغِلين و المستغَلين ، بين الأغنياء المترفين و الفقراء الكادحين. عملت إذن هذه البرجوازية ايديولوجيا ، و لم يكن لها غير ذلك ، على تغطية و طمس مجموع تناقض مصالحها و مصالح أسياد الإقطاع من جهة ، مع مصالح المستغَلين الكادحين من جهة ثانية ، و بالأساس مع مصالح البروليتاريا الجنينية ، و صورت حل تناقضها و صراعها مع أسياد الإقطاع ،كحل يخلص و يحرر كل البشرية من المآسي و الويلات ، و يحقق مملكة العدالة و المساواة المطلقة للجميع ، بسيادة عقل عصر فكر الأنوار الذي لم ، و بتعبير "انجلز" ، يتجاوز مفكروه الحدود التي رسمها و حدَّها لهم زمنهم التاريخي[11].

ادعاء البرجوازية الصاعدة ، في حركة تناقضها و صراعها ضد أسياد الإقطاع ، تمثيليتها لمصالحها و مصالح كل الفقراء الكادحين ، لم يمنع من بروز حركات مستقلة عنها ، و انتفاضات ثورية مسلحة من الطبقة و الفئات التي لا زالت حينها جنينية ، و التي في سيرورة تطورها ستصير هي البروليتاريا. فإبان حرب الفلاحين بألمانيا ، برز توجه **"توماس مونزر"** الذي صاغ بيان "براغ" سنة 1521 ، و فيه دعا للثورة على "عاهرة بابل" ، و القصد هو كنيسة روما (أنظر ما قدمه "انجلز" حوله في كتابه "حرب الفلاحين بألمانيا"). كما نجد المجموعة التي توحدت خلال الثورة الإنجليزية الكبرى في أربعينيات القرن السابع عشر ، **"النيفلور"** ، تحت شعار الإصلاحات الدستورية و المساواة [12] ، و التي انتشرت أفكارها عن طريق فلاسفة "عصر الأنوار" ، ليصل تأثير ها حتى

الامتيازات "السياسية و القانونية" لتحصين أنشطتها الاقتصادية الصاعدة. أنظر في هذا السياق، ما جاء به ، و بكل تركيز "البيان الشيوعي": "كان سكان المدن و صغار الفلاحين في القرون الوسطى أسلاف البرجوازية الحديثة..". نقرأ كذلك: "فمن أقنان القرون الوسطى نشأت عناصر المدن الأولى، و من هؤلاء السكان المدنيين خرجت العناصر الأولى للبرجوازية... أسواق الهند و الصين...التبادل مع المستعمرات....و تعدد وسائل التبادل و تدفق البضائع بوجه عام، كل هذه الأمور دفعت التجارة و الملاحة و الصناعة إلى الأمام بقوة....و أمنت بذلك نموا سريعا للعنصر الثوري في المجتمع الإقطاعي الآخذ في الانحلال ". كذلك: " و كانت كل مرحلة من مراحل التطور التي مرت بها البرجوازية يقابلها رقي سياسي مناسب تحرزه هذه الطبقة. فقد كانت البرجوازية في بادئ الأمر فئة مضطهدة تحت عسف الإقطاعيين و استبدادهم، ثم كانت جماعة مسلحة تدير نفسها بنفسها في كومونة (ملاحظة "انجلز" في الطبعة الألمانية حول كلمة .كومونة . : هكذا كان سكان المدن في إيطاليا و فرنسا يسمون مجموعتهم المدينية فور انتزاعهم أو شرائهم من سادتهم الإقطاعيين حقوقهم الأولية في إدارة ذاتية).

11 – لأجل الدرس و العبرة من التاريخ، و ليس مطلقا على سبيل المقارنة هنا، و إلا لما يصلح الوعي بالتاريخ إن لم يساهم هذا الوعي، و على الخصوص إن كان ثوريا يعتمد البراكسيس (الممارسة الاجتماعية الثورية الحرة و الواعية)، في عدم السقوط في سخريته (سخرية التاريخ في "التكرار")،أنظر إذن لما يتم تقديمه اليوم من شعارات و مطالب، خطابات و تحاليل أحزاب، منظمات و جمعيات و مثقفي البرجوازية الصغيرة و المتوسطة، خصوصا تلك التي تدعي الدفاع عن مصالح "المستغَلين و الفقراء الكادحين"، لأجل الحشو الإيديولوجي ، وطمس تناقضاتهم الطبقية مع البروليتاريا و الفلاحين الفقراء و المعدمين، استعطافا و استقطابا انتهازيا منهم للفئات البروليتارية و الكادحة المناضلة و المتقدمة، و بالأساس، عويلا في وجه تفكك و انهيار مصالحهم الاجتماعية و هزيمتهم الإيديولوجية و السياسية.

12 – مما جاء في مطالبها: حل البرلمان و إجراء انتخابات

صائغي الدستور الأمريكي.
بفرنسا ، و خلال الثورة ، نجد **"فرانسوا نويل بابوف"** ، و هو معروف باسم "غراشوس بابوف" الذي طور أطروحات في "المساواة و جماعية الأرض" ، حيث أسس في السرية منظمة «La conjuration des égaux» بهدف الاستمرار في الثورة لتحقيق "جماعية الأرض و وسائل الإنتاج" ، و من أجل "المساواة الكاملة و السعادة المشتركة".
أكد التاريخ و من دون رجعة إذن ، أن "مملكة العقل" هذه ، و "الدولة العقلانية" التي أتت في شكل الجمهورية البرجوازية ، لم تكن في حقيقتها الفعلية غير المملكة المثالية للبرجوازية. فالعدالة المطلقة و الأبدية ، و المساواة الطبيعية و المطلقة التي حملتها البرجوازية شعارا لها ، و التي بها في صراعها ضد الإقطاع ، ألحقت ذيليا كل الفئات المستغلة (بفتح الغين) ، وجدت تحققها الفعلي في العدالة و المساواة البرجوازية أمام القانون ، معلنة الملكية البرجوازية ، ملكيتها الخاصة ، حق أساسي و ثابت للإنسان.

ب .في بعض عناصر الحلقات الأولى للفكر الشيوعي في عصر صعود البرجوازية

إذا كانت شعارات مفكري "عصر الأنوار" "الليبراليين" ،لم تتجاوز حدود مطالب العدالة و المساواة في الحقوق السياسية ، و إلغاء الامتيازات الطبقية في اتجاه "عقلنة" النظم الاجتماعية القائمة ، فإنها و على العكس منها ، امتدت لدى الشيوعيين الأوائل إلى المطالبة بإلغاء الفوارق الطبقية ذاتها ، و على رأسها إلغاء الملكية الخاصة. هكذا نجد:

إتيان جابرييل موريلي: 1717 . 1782 (؟)

لانعدام مصادر تاريخية حاسمة في من تكون الهوية الحقيقية ل "موريلي" ، التي رجح البعض القليل جدا ، أنها شخصية وجدت فعلا ، في الوقت الذي فيه دافعت اتجاهات أخرى ، أنه اسم مستعار ل "دينيس ديدرو" ، أو أنه يعود ل "فرانسوا فانسو توسانت". على أي ، فصاحب كتاب "قانون الطبيعة" الذي نشر سنة 1755 ، و الذي نسب إلى حدود القرن العشرين إلى "دنيس ديدرو" ، مع أن الكتاب لم يحمل اسم هذا الأخير ، كان من الأوائل الذين طوروا فلسفة ل "الاشتراكية و الشيوعية" ، حيث فيه تم انتقاد و بشكل صارم مجتمع تلك الحقبة ، و طُرِح فيه وضع دستور يهدف إلى تحقيق مجتمع متساوي من دون ملكية خاصة ، و من دون زواج أو كنيسة أو شرطة. انتُقِدت فيه و اعتُبِرت الملكية الخاصة أساس كل الويلات و المعاناة البشرية الاجتماعية و الأخلاقية. وضع "موريلي" قوانين أساسية لاستئصال جذور كل تلك المآسي البشرية ، و على رأسها: إلغاء الملكية الخاصة : "لا ملكية خاصة في المجتمع لشخص أيا كان ، ما عدا الأشياء ذات الاستعمال الفوري ، و الضرورية لتلبية العمل و الحاجيات اليومية" ، معارضا بشدة امتلاك أي شخص أكثر من ما يحتاجه من ضروريات الحياة اليومية ، و بالتحديد معارضا للملكية الخاصة المستعمَلة جوهريا لتشغيل أناس آخرين: "كيف للناس أن يحصلوا على

جديدة..، حل مجلس اللوردات و الحفاظ فقط على "الجمعية"، انتخاب القضاة، الحرية الدينية للجميع، إلغاء الضرائب غير المباشرة، إلغاء احتكار الشركات التجارية، المساواة في الإرث بين الجميع، إلغاء السجن بسبب الديون، وضع القوانين الجنائية بلغة مفهومة و تخفيف أحكامها...الخ. اعتبرت "روزا ليكسومبورغ، في كتابها "الثورة الروسية"، أن "البلاشفة هم الورثة التاريخيين ل"النيفلور" "،ومن سخرية التاريخ، هناك من أشباه الماركسيين اليوم، من يريد أن يعود بنا إلى عصر "النيفلور"، كي لا نقول عصر ما قبل ثورة أكتوبر 1917، التي افتتحت طريق الانتصار التاريخي للبروليتاريا الثورية على الامبريالية الرأسمالية.

الأدوات و المعدات التي يحتاجونها في حياتهم العملية ، إن هي كانت في ملكية أشخاص". لدا اقترح "موريلي" إنشاء مخازن عمومية لتوزيع المعدات يوميا على الجميع ، و لمدة زمنية محددة ، كما اقترح حظر التجارة و التبادل السلعي بين الأفراد ، و وضع بديلا لها في تجميع كل المنتجات بالساحات العمومية ، و إعادة توزيعها على الجميع كل حسب حاجياته اليومية فقط.

جابرييل بونوت مابلي: 1709 .1785

من عائلة نبلاء برلمانية ، و من الممهدين للاشتراكية الطوباوية ، أرجع سبب كل مآسي المجتمع إلى عاملين: عدم تكافؤ و تساوي الظروف و الملكية الخاصة. فقد أدان ما أسماه ب "الاستبداد القانوني" ، و دعا إلى إلغاء الملكية الخاصة التي اعتبرها غير متوافقة مع مبدئي الانسجام و الإيثار بين الناس ، بل هي موصلة فقط للغرائز الأنانية اللااجتماعية. طالب "مابلي" بالمساواة حتى في الاحتياجات ، متجاوزا بذلك ، تصور لبراليي عصره في المساواة أمام القانون. و اعتبر أن العفة و الفضيلة ، هي أكثر تقديرا من تحقيق أو امتلاك الثروات المادية.

ج .في بعض الأطروحات الاشتراكية الطوباوية:

بجانب ما قدمه "انجلز" في ال "أنتي .دوهرينغ" حول أطروحات "سان سيمون" ؛ "شارلز فوريي" و "أوين" ، نجد حولها فكرة جوهرية و شديدة التركيز في البيان الشيوعي: " فنظم الاشتراكية و الشيوعية ، نظم سان سيمون ، فوريي و أوين ... ظهرت في المرحلة الأولى و الغير المتطورة من الصراع بين البروليتاريا و البرجوازية.... فعلى الرغم من ملاحظة مبدعي هذه النظم الفعلية لتباينات الطبقات و فعالية العناصر المفككة للمجتمع السائد نفسه ، إلا أنهم لم يروا في جهة البروليتاريا أي نشاط ذاتي تاريخي ، و لا أي حركة سياسية خاصة بها. ..."

ج .1.سان سيمون :

اسمه الحقيقي "كلود هنري دو روفروي" 1760 .1825 ، و هو عسكري ، اقتصادي و فيلسوف منحدر من عائلة "النبلاء". احتفظت نزعته البرجوازية بثقلها في دفاعه عن البروليتاريا. فهو صاحب "إعلان مبادئ إيديولوجية التصنيع" ل 1817 في كتابه "الصناعة" ، التي دعت إلى بناء "مجتمع صناعي" ، فيه تكون الكفاءة و الجدارة في احترام للعمل المنتج ، هي أساس المجتمع الذي وجب أن يكون تحت قيادة (إدارة) ما أسماه ب "الطبقة الصناعية". هذه الأخيرة ، مكونة بالنسبة له ، من كل من المساهمين و المشاركين في العمل المنتج بمن فيهم ، إلى جانب العمال اليدويين ، فئة رجال الأعمال ، المديرين ، المصرفيين و العلماء[13]. انتقد في كتابه بشدة أي توسيع لهامش تدخل الحكومات في الاقتصاد ، معتبرا ذلك خطوة في اتجاه الاستبداد الاقتصادي. لذلك

13 – هذا الطرح الذي "لم يرى في جهة البروليتاريا أي نشاط ذاتي تاريخي، و لا أي حركة سياسية خاصة بها" (البيان الشيوعي)، و هو تصور، يقول "انجلز"، يناسب مرحلة تطور فرنسا حيث بداية نشوء التناقض بين البرجوازية و البروليتاريا (بداية المرحلة الصناعية الثقيلة، خلافا لإنجلترا)، و يجد جذوره لدى سان سيمون في وضعه التناقض بين من يستفيد من "الامتيازات" من دون أي جهد أو نشاط إنتاجي، و بين الفئات الاجتماعية النشيطة التي تتضمن بالإضافة للعمال المأجورين، التجار و المصرفيين و أصحاب التصنيع و العلماء، أي تتضمن بالإضافة للعمال، فئة البورجوازية المالكة التي استولت على السلطة السياسية ، و أدت بالثورة إلى الإفلاس و تعبيد الطريق أمام انقلاب نابليون. هذا الأمر، دفع سان سيمون إلى طرح قضية القيادة بيد "الطبقة الصناعية"، و التي لن يكون على رأسها سوى طبقة البورجوازية النشيطة و المالكة لوسائل الإنتاج.

دعا من جهة إلى الإستيعاب الكلي للسياسي في الاقتصادي[14]، و من جهة ثانية، دعا إلى تشكيل مجلس رقابة، مكون من العلماء و الحرفيين و رجال الأعمال، يعمل على التخطيط لخلق الثروات و تحسين مستوى عيش الطبقة العاملة. فمن الواجب بالنسبة له، و باسم الأخلاق و المشاعر الإنسانية، الرفع من المستوى المادي و المعنوي للبروليتاريا.

ج. 2. شارلز فوريي: 1772. 1837

تميز "شارلز فوريي" بنقده الشديد للبرجوازية و لمفكريها، و السخرية من "عالمها"، فهو الذي واجهها بالوعود المغرية التي قدمها مفكروا "عصر الأنوار"، و هو مبدع فكرة إنشاء دور الحضانة، و أول من طرح، في نقده لمكانة المرأة في المجتمع البرجوازي، فكرة أن تقدم أي مجتمع يقاس بوضع المرأة فيه: "حيثما يحط الرجل من قيمة المرأة فهو يحط من قيمة نفسه... على العموم، تجري التحولات و التقدم الاجتماعي بسبب تقدم المرأة نحو الحرية، كما يجري الانحطاط الاجتماعي بسبب تراجع حرية المرأة، توسيع امتيازات المرأة هو المبدأ العام لأي تقدم اجتماعي"[15].

انتقد بشدة، في كتابه «Le nouveau monde amoureux» المجتمع الصناعي الصاعد، معتبرا إياه مجتمع "الفوضى الصناعية"، حيث تزدهر المصانع على حساب استنزاف العمال. أنظر «La fausse industrie» الذي فيه دعا إلى "ضرورة توفير دخل قار غير مشروط" كحق مشروع لتحقيق الحاجيات الأساسية للأفراد.

احتلت قضية تغيير المجتمع، و إعادة بناءه على أسس جديدة، موقعا مركزيا في كتاباته التي فيها طرح ما أسماه ب "النظام المجتمعي الجديد". فكل مجتمع بالنسبة له "يحمل في ذاته، و تكمن فيه، القدرة على خلق المجتمع الذي يليه"[16]، و الانتقال إليه، إلى "مجتمع الانسجام" (المجتمع المثالي)، يتم سلميا و بطريقة طبيعية. لذا طرح "فوريي" زرع بذرة و أساس هذا المجتمع الجديد التي أسماها ب "الفلانستير"[17]، و التي هي في وحداتها الكلية تشكل بديله المجتمعي. للإشارة، فمجموعة من التجارب لإنشاء هذه التجمعات بشمال أمريكا و فرنسا باءت بالفشل، الذي حدد بعض الباحثين السبب فيه في غياب سلطة ذاتية قادرة على قيادة، و تنظيم تلك التجمعات[18].

---

14 – و هي فكرة كما يقول "انجلز"، تعبر بشكل صريح عن فكرة إلغاء جهاز الدولة، و تتضمن بشكل غير مباشرة فكرة أن الاقتصادي هو أساس المؤسسات السياسية.

15 – أنظر كتاب "نظرية الحركات الأربع و المصائر العامة"، ص 195 حيث يقول أن "الطبيعة زودت الجنسين معا بنفس القدرة على العلم و الفن".

16 – شدد "فوريي"، يقول "انجلز"، على أن كل مرحلة تاريخية لها طورها التصاعدي، كما لها طورها التنازلي، و هي فكرة نابعة من تحكم "فوريي" في الديالكتيك.

17 – "الفلانستير"، هي تجمعات سكانية – عمالية ضخمة تتسع لحوالي ألفي فرد، مع مساحات خاصة للزراعة، تتشكل وفق طبيعة المهن، و بطريقة إرادية و حرة، تعتمد كليا على مبدأ الملكية الجماعية، حيث انعدام وجود أي وسيط تجاري الذي اعتبره "فوريي" مصدرا لكل الإختلالات و المآسي الاجتماعية.

18 – هي إشارة إلى تجربة التشكيلات الأولى لتنظيم المزارع الجماعية بروسيا. ما سمي ب "مير" التي كان يقودها مجلس محلي مشكل من مسئولي الساكنة الزراعية الذي عمل على التوزيع العادل للأرض، و تخليص الضرائب بشكل جماعي. هذه المزارع الجماعية هي التي اعتُمدت بضع سنوات بعد ثورة أكتوبر، في تشكيل "كولخوزات" الإتحاد السوفيتي، رغم سياسة التفكيك التي نهجها قبل ذلك، "بيوتر ستولبين"، وزير الإمبراطور "نيكولا 2" لروسيا 1906 ـ 1911، ببرنامجه الزراعي في خلق فئة من

ج .3. أوين: 1771 .1858

كان "أوين" من أتباع الليبرالية الكلاسيكية في بداياته ، بمعية "جيريمي بنتهام" ، مدافعا عن ما سمي ب "الأسواق الحرة" الضامنة لحرية و حق العامل في اختيار صاحب المعمل ، الرأسمالي ، معتقدا بذلك أن العمال و بهذه الطريقة ، سيستطيعون التخلص من السلطة المفرطة للرأسماليين ، و ليس التخلص من الرأسماليين أنفسهم.

تبلور نظامه الفكري ، و هو العضو في "الجمعية الأدبية و الفلسفية لمانشيستر" التي عملت على مناقشة أفكار التيارات الإصلاحية و فلسفة "عصر الأنوار" ، في ظرف تاريخي ، اتسم بالتساؤلات المتزايدة اتجاه السيرورة المتصاعدة لعملية التصنيع[19] التي عمقت بالنسبة له ، مجموع الفوارق و الانقسامات الاجتماعية بين العمال و الرأسماليين ، و بين الرجل و المرأة ،كما بين المدن و الأرياف. فرغم كونها شكلت ، بالنسبة له ، مصدرا للمأساة البشرية ، فهو لم يعارضها في ذاتها ، بل عارض عملية التسيير اللاعقلاني و اللاأخلاقي ،كما عبر عن ذلك: "حقيقة ، الركيزة الرئيسية لعظمة بلدنا السياسية و ازدهاره هي المصانع ، لكنها ، و كما هي تدار اليوم ، تدمر الصحة و الأخلاق و الرفاهية الاجتماعية للكتلة العاملة فيها"[20].

تمحورت أفكاره الرئيسية التي بدأت تتخذ منحا أكثر جذرية و هو منخرط و بقوة في الحركات الإصلاحية ، حول فكرة أن "الظروف هي التي تحدد شخصية و طبيعة الناس" ، و هم فيها ليس لهم عليها أي سلطة. و بالتالي ، بالنسبة له ، لا يمكن الحكم على أفعالهم ، لا باللوم و لا بالإشادة[21]. لذا حرض و بشدة و هو عضو في "المجلس الصحي لمانشيستر" على ضرورة وضع الناس ، و منذ سنواتهم الأولى ، في ظروف اجتماعية مادية و معنوية جيدة و صحية ، و على ضرورة تحسين الوضع الصحي و ظروف اشتغال العمال ، و رفضه لتجاوزات الرأسماليين في اعتبارهم العمال مجرد آلات[22].

لذلك ، حين أصبح "أوين" مالكا لجزء من "لانارك الجديدة" ، بعد زواجه من ابنة مالكها ، قرر إدارتها على أساس مبادئ مختلفة ، و متجاوزة للقوانين المعمول بها حينها. فبدأ برفع مستوى معيشة العمال ، داعيا إلى مكافأة العمال المنتجين بدل الرأسماليين و الوسطاء ، و تحسين مساكنهم. ثم عمل على فتح متجر لبيع منتجات من النوعية الجيدة ، و بأثمنة مناسبة لمستوى دخل العمال. كما بلور مشاريع تعليمية للعمال ، و التي بلغت ذروتها بإنشاء دار للرعاية الصحية ، ليتوجها بشعاره الذي أصبح أحد شعارات الأممية الأولى ، و الحركة العمالية الفرنسية: " ثماني ساعات للعمل ، ثماني ساعات للترفيه ، و ثماني ساعات للنوم".

تجربته هذه ب "لانارك" أثارت اهتمام الإصلاحيين ، و

الفلاحين الملاكين الصغار لعزلهم عن السيرورة الثورية بعد الانتفاضة الكبرى ل 1905.

19 – تحول المانيفاكتورة إلى الصناعة العصرية و الثقيلة، و بداية الطور التصاعدي لنمط الإنتاج الرأسمالي مع الثورة الصناعية، الذي اعتمل فيه تقسيم المجتمع إلى رأسماليين كبار و بروليتاريا (غير مالكة)، و بينهم برجوازية متوسطة من أصحاب المتاجر الصغيرة و الحرفيين التي تشكل الفئة الأكثر تحركا و انزلاقا حيث وضعها الاقتصادي أصبح غير مؤمن و غير مضمون.

20– ص 16، الملحق "ف" للمجلد 1، لكتابه "حياة روبر أوين سيرة ذاتية" 1857 الطبعة الانجليزية.

21 – هو نوع من التفكير الجبري لدى "أوين"، و الذي وجد تعبيره و تحققه المستقبلي في تحوله أواخر حياته نحو "التيار الروحاني".

22– يقول في هذا الإطار و في نفس المرجع ص 60 : "للقضاء على شرور المجتمع وجب خلق ظروف و بيئة جيدة و مناسبة و الخضوع لنظام يقوم على العدالة و الخير.".

رجالات الدولة و القصر ، الذين لم يتوانى "أوين" أبدا في لقائهم و محاولات إقناعهم بأفكاره.

على غرار تجربته هذه في "لانارك الجديدة" ، و استمرارا في عمله على تنفيذ أفكاره رغم اصطدامه بموجة خيبة الشعور العام اتجاهه[23] ، اقترح إنشاء مجمعات سكنية بوحدات صناعية - زراعية للقضاء على البطالة و الحد من هجرة الأرياف. مجمعات ، يتم تأسيسها من طرف أفراد أو البلديات أو الدولة ، و يشرف عليها أناس ذووا مؤهلات عالية ، تتجاوز فيها الساكنة — العمال-ا لألف شخص ، في مبنى واحد ، يستفيد فيها جميع الأفراد من فرصة العمل ، و يتكلف "مجتمعه المحلي" هذا بتربية الأطفال الذين يتجاوز عمرهم الثلاث سنوات.

اعتبر "روبرت أوين" مشروعه هذا ، "تنظيمه المجتمعي الجديد" ، هو الأساس الوحيد القادر ، ليس فقط على تخليص الطبقة العاملة من مآسيها ، بل الأساس لإعادة بناء تنظيم جديد لكل الطبقات و الأمم ، فأطلق اسم "علم المجتمع" على نظريته[24] ، و التي ابتداء من 1822 ، سيسميها أحد أتباعه ب "الاشتراكية"[25].

بعد تجربتين فاشلتين ، الأولى مجاورة ل "كلاسكو" ، و الثانية حملت اسم "المجتمع المنسجم الجديد" و تحت إشرافه الشخصي ، بأمريكا ، التي رد فشلها أحد أعضائها حينذاك ، و الذي سيصبح فيما بعد أحد رموز "الفوضوية الفردية" بأمريكا ، "جوسيا وارن" ، إلى غياب قيادة فعلية لتلك التجربة. تخلى "روبرت أوين" عن مشروعه "المجتمع المنسجم الجديد" ، و عن مجموع أنشطته "الرأسمالية" ، بعد عودته من أمريكا سنة 1828 ، ليبدأ حملته الدعائية و التحريضية لأجل "الاشتراكية و العلمانية" ، التي بدأت تأخذ طريقها وسط سجالات جمعية "كل الطبقات و كل الأمم" التي أسسها سنة 1835 ، لتنتشر و بشكل كبير أفكاره حول العلمانية ، على الخصوص وسط العمال. محاولا بذالك ، هو و أتباعه ، أن يمنحوا المثال و النموذج ب "تجربة مجمعاتهم" ، تمهيدا لتحول الجميع و اعتناقهم التدريجي ، و عن طواعية لنظريتهم (من النضال إلى الدعوة)

لقد أشاد به "ماركس" و "انجلز" لمواقفه المناهضة للرأسمالية ، و في نفس الوقت شجبوا مواقفه المتعالية اتجاه الطبقات الشعبية[26] ، كما نددوا بعداء "أوين" لمبدأ الصراع الطبقي و معارضته الشديدة لمبدأ الثورة و العنف. فهو بالنسبة للشيوعيين ، يجسد مثال المصالحة بين نقيضي الصراع الطبقي. و لأن الشيء هو صيرورته ، فقد تأسست بعده "الجمعية الفابية" ، المعادية للثورة

---

23 – اصطدم "أوين" بحملة دعائية ضد نظريته، التي وصفت بالمشبوهة إثر إعلانه عداءه الواضح، في إحدى المؤتمرات بلندن، لكل أشكال التدين، مصنفا الدين عاملا مساهما رئيسيا في زرع الانقسام بين الناس. فبالنسبة له، كانت هناك ثلاث عراقيل للإصلاح الاجتماعي: الملكية الخاصة . الدين و الشكل القائم للزواج.

24– انظر بهذا الصدد ما جاء في البيان الشيوعي.

25– أنظر إحدى رسائل "إدوارد كوبر" بعثها ل "روبرت أوين" بتاريخ 2 نونبر 1822، ملفات "مراسلات مانشستير"، الملف 1 . رقم 14، و التي أكدها "جاك كانس" في مجلة "التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي" 1957، ص 79 . 83.. في مقال بعنوان "أصل كلمة اشتراكي و استعمالاتها القديمة". لم يتم استعمال مفهوم "الاشتراكية كنظرية" لحل القضايا الاجتماعية إلا ابتداء من سنة 1830، لكن هناك من يقول أن أولى استعمالات كلمة " الاشتراكية" جاء في "معاهدة" للقس الفرنسي "جوزيف سييس" سنة 1780 أسماها ب "الاشتراكية"؟؟

26 – اعتقد "أوين" أن الطبقات الشعبية في وضعها ذاك، هي غير قادرة على أن تحكم ذاتها بنفسها، و أن التقدم و التحول يجب أن يأتي من أعلى، أي منه هو و من معه ،أتباعه.

سنة 1884 ، التي اعتمدته أباها الروحي و منظرها التاريخي ، و هي التي لعبت دورا قياديا سنة 1900 ، في تأسيس ما يعرف ، حتى اليوم ، ب "حزب العمال" البريطاني.

كمثل فلاسفة "عصر الأنوار" ، لم يقدم الاشتراكيون الطوباويون الثلاث أنفسهم كممثلي طبقة محددة ، و هي طبقة البروليتاريا هنا ، طبقة المستغلين غير المالكين ، بل كممثلي المجتمع و البشرية بأكملها. فأرادوا ، كسابقيهم في "عصر الأنوار" ، بناء "مملكة العقل" و العدالة المطلقة و الأبدية. فكما كان مجتمع الإقطاع في نظر البرجوازية مجتمعا لا عقلانيا ، غير عادل ، و الذي وجب وضعه أمام "محكمة العقل" ، كان مجتمع البورجوازية هو الأخر في نظر الفلاسفة الاشتراكيين الطوباويين الثلاث ، مجتمعا منظما بشكل غير عادل ، و لا عقلانيا ، لذا وجب هو الآخر إدانته ، و وضعه تحت "سلطة العقل" ، لأجل بناء "مملكة العقل" و العدالة المطلقة و الأبدية. بهذا المنطق إذن ، لم يكن على هؤلاء المفكرين سوى التعرف على هذه الحقيقة و اكتشافها ، لتتجسد هذه الأخيرة (التجسد بمفهومه اللاهوتي) ، من وجهة نظر التصور الاشتراكي الطوباوي ، في الاشتراكية.. الحقيقة.. العقل.. و العدالة المطلقة ، التي كان يكفيهم فقط اكتشافها ذهنيا ، كي تسود العالم بفضل قوتها الذاتية الخاصة ، في استقلالية تامة عن الزمن - المكان ، و عن تطور التاريخ البشري ، و على وجه الدقة و التحديد ، مستعيرين هنا ما جاء به البيان الشيوعي ، في استقلالية عن حركة البروليتاريا التي "لم يروا في جهت(ها) . البروليتاريا . أي نشاط ذاتي تاريخي ، و لا أي حركة سياسية خاصة بها. ..." ، لذا ،كان رفضهم لنظام البورجوازية في جوهره أخلاقيا ، و الحلول التي قدموها لم تتجاوز إطار الحدود التي رسمتها لهم منطلقاتهم في الرفض الأخلاقي و القيمي لذاك النظام.

لقد حاولنا هنا التفصيل قليلا في بعض أهم مبادئ فكر "عصر الأنوار" ، و بالخصوص التفصيل في أهم الأفكار و التجارب التي جاء بها الاشتراكيون الطوباويون ، للتأكيد على أن النظرية الإشتراكية العلمية ،لم تأتي منسلخة عن التجارب و الأفكار السابقة عليها ، أو هي حصيلة نشاط ذهني خالص خارج تطور التاريخ البشري. بل هي كما عبر عن ذلك "انجلز" في ال "أنتي .دوهرينغ": " ...استمرارية متطورة و أكثر اتساقا للمبادئ التي وضعها فلاسفة عصر الأنوار بفرنسا القرن الثامن عشر" ، و التي كان عليها "أن ترتبط بعمق جوهر المواد الفكرية الموجودة حينها و السابقة عليها ، و أن تتأصل في عمق جذور حقائقها الاقتصادية." ، و هو الأمر الذي أكد عليه كذلك قائد الثورة البلشفية "لينين" (أنظر "مصادر الماركسية الثلاث").

هـ .في الاشتراكية العلمية:

"لجعل الاشتراكية علما ، وجب بدءا وضعها على الأرض (الواقع) الفعلية."

"هي التعبير .السلاح النظري للحركة البروليتاريا"

هـ .1. الديالكتيك[27] بين المادية و المثالية

27 – على نفس المرجع المذكور على الهامش 2 (مكتبة "البلياد" . اقتصاد، ص 1667)، نجد أن تعبير "المادية الديالكتيكية" يعود ل"جوزيف ديكتزن"، و هو فيلسوف بروليتاري . دباغ . ألماني (ذكره "انجلز" في حديثة عن الديالكتيك في كتابه "فويرباخ و نهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية" ص 61 من الطبعة الفرنسية 1976) وضع مبادئ المادية الديالكتيكية في استقلالية عن "ماركس" و "انجلز" (و حتى عن "هيجل")، و بعد تعرفه على نظريتهما، أصبح من المدافعين الأكثر حماسة عنها كما تؤكد ذلك مجموعة من المراسلات بينه و بين "ماركس" التي جاء في

لم يكن منطق التفكير الديالكتيكي غريبا عن الفكر الفلسفي المسمى بشكل عام في "تاريخ الفلسفة" ب "الفكر الفلسفي الغربي" ، و لا ، على الخصوص ، عن فكر القرن الثامن عشر بفرنسا ، كما بألمانيا و أنجلترا ، إلا أنه و بتاثير من "التيارات الفلسفية" لهذه الأخيرة ، كان غارقا في نمط التفكير المثالي بعد عودة هذه التيارات للفلسفة المثالية الإغريقية (الأفلاطونية بالأساس) ، في محاولة لإعادة بناء و "عقلنة" نظم تفكيرها في مواجهة الفكر الفلسفي المادي و العلمي الذي غلب عليه حينها منطق التفكير الميكانيكي[28] التحليلي. إلا أنه مع "هيجل" لم يعد الديالكتيك طريقة أو أسلوبا للتفكير ، بل هو حركة العقل - الفكر (حركة و تطور الفكرة المطلقة) في علاقته بالكائن .الوجود[29] (الطبيعة) ، فتم تصوره على أنه هو

إحداها موضوع الديالكتيك (أنظر الأعمال الكاملة، م. 32 من الطبعة الألمانية، ص 547، رسالة "ماركس" ل"جوزيف ديتزكن" بتاريخ 9 مايو 1868) . هو صاحب كتاب "جوهر العمل الذهني" الذي قرأ مخطوطه الأول كل من "ماركس" و "انجلز" سنة 1868، قبل نشره سنة 1869 بهمبورغ. قال مؤسسا الشيوعية الثورية في حق "ديكتزن" أنه "واحد من العمال الأكثر عبقرية و براعة".

28 – نشير هنا فقط، لأن مجال هذه المقالة لا يسمح بذلك، إلى ان هذا الصراع الفكري الفلسفي كانت له جذوره التاريخية المرتبطة بصعود البرجوازية و سيرورة اندحار طبقة النبلاء و مؤسسة الكهنوت، و ذلك منذ القرن الحادي عشر الذي هو بالضبط الزمن نفسه الذي ابتدأت فيه أولى التشكيلات الاجتماعية البرجوازية. ففي ذاك الزمن بالضبط انطلقت و نشطت عملية الترجمة لأعمال "أرسطو". و فيها جرى الصراع بين "الديالكتيكيين" و ال "أنتي . ديالكتيكيين" في مسألة التعاطي مع و تفسير "خبايا و أسرار" المسيحية، عن طريق الرجوع إلى المنطق "الأرسطي" في ذلك. و هو الأمر الذي رفضه حينها كهنة الدين، عن طريق "فلاسفتهم"، خوفا من مخاطر تذويب و حل تلك "الخبايا"، و بالتالي تعرية المؤسسة الكهنوتية، أمام أتباعها، كجهاز إيديولوجي لا يخدم إلا مصلحة رجالاتها، و بالأساس لا يخدم إلا سلطة و مصالح النبلاء. نضيف هنا، أن هذا الصراع، هو الذي أدى بعد ذلك إلى دمج و خلط "الأرسطية" بالمسيحية و بروز شعار "العقل . المنطق في خدمة الإيمان" أو "الفلسفة خادمة للاهوت" خصوصا مع التطور السريع الذي عرفته العلوم انذاك.

29 – ليس مجال هذه المقالة الخوض و بتفصيل في موضوع الديالكتيك لدى "هيجل" ، و كيف عرف نقلته النوعية المادية مع "ماركس" . "انجلز"، نشير فقط إلى أن حركة و تطور الفكرة المطلقة لتصبح ذاتها بعد مجموعة من الأطوار المتضمنة فيها، و على الخصوص بعد طور اغترابها في "الطبيعة" لتجد بعد ذلك ذاتها و تصبح، بعد عودتها، هي نفسها في العقل (لحظة المصالحة)، تتضمن بشكل عام ثلاث أطوار. فهي مطلقة كاملة من دون أن تعي ذاتها بكمالها (الطور الأول)، فكان عليها "بالضرورة" أن تغترب عن ذاتها (الطور الثاني) كي تتعرف على و تعي ذاتها حين عودتها إليها (الطور الثالث و انغلاق دائرة الحركة الديالكتيكية المثالية). من هذا المنظور، تكون الحركة الديالكتيكية للطبيعة و التاريخ ، هنا هي فقط نسخة و صورة لحركة و تطور الفكرة المطلقة (أنظر كتاب "المنطق" ل"هيجل" حيث طرح أطوار تطور الفكرة المطلقة لتصير ذاتها). عمل"ماركس"–"انجلز" إذن على قلب هذه الحركة الديالكتيكية، ليكون ديالكتيك الفكر هو الانعكاس الواعي لديالكتيك العالم الحقيقي، العالم المادي (هي المادية الديالكتيكية، فلسفة الماركسية). فكم هو الأمر قاتل هنا، حين تجد لدى بعض أشباه الماركسيين اليوم، تعاطيهم الماقبل "هيجلي" مع الدياليكتيك (هو في حقيقته، تعاطي يتوافق و أطروحة هؤلاء في العودة بنا إلى عصر "النيفلور"، كي يتم تعبيد الطريق على خط البناء الرأسمالي

المحرك الداخلي للأشياء التي تتطور بالنفي و المصالحة (راجع بهذا الصدد مثال علاقة التناقض بين العبد و السيد و الحل .المصالحة "السعيد(ة)" لها لدى "هيجل")، في حين ، عند "ماركس" . "انجلز" ، هو حركة المادة (الأشياء في الطبيعة تجري و تحدث في نهاية التحليل ديالكتيكيا كما يقول "انجلز" في ال "أنتي . دوهرينغ")، حيث التناقضات الاقتصادية .الاجتماعية هي محرك التاريخ البشري منذ تفكك التجمعات البشرية الأولى . "البدائية" ، و انطلاق سيرورة تشكل الفئات و الطبقات الاجتماعية. و لا حل "سعيد" أو مصالحة لها ، لهذه التناقضات الطبقية الاجتماعية ، إلا بالنفي المادي العنيف لأحد أطرافها.

نقف هنا عند التصور الذي لا يرى في مقاربته للظواهر في كليتها (الطبيعية أو التاريخية البشرية أو الذهنية - الفكرية)، أمام التشابكات اللانهائية من العلاقات و التفاعلات التي تقدمها الصورة العامة لهذه الظواهر التي فيها تتلاشى تفاصيلها الداخلية ، إلا الحركة و الترابط و التحول أكثر من رؤيته و اهتمامه بمن يتحرك و من يترابط و من يتحول. هذه النظرة ، التي كان أول من عبر عنها بوضوح هو "هيراكليتس": " كل شيء يتدفق" ، هي سليمة في جوهرها ، إلا أنها غير كافية لتفسير و توضيح التفاصيل و العناصر الداخلية التي منها تتكون تلك الصورة العامة للظواهر. فطالما ليست لدينا معرفة بتلك العناصر و التفاصيل الداخلية المكونة للصورة العامة ، فلن تكون لنا أي فكرة واضحة ، و دقيقة ، عن الصورة العامة نفسها لتلك الظواهر.

لفهم هذه التفاصيل و العناصر الداخلية إذن ، و بتأثير من العلوم عن طريق مرور و انتقال طرق نظرها و تفكيرها ، للفكر الفلسفي (باكون و لوك) يتم الاضطرار لنزعها و عزلها عن ترابطاتها الطبيعية أو التاريخية ، و دراستها كلها على حدة في طبيعتها ، نوعها ، أسبابها و نتائجها الخاصة بها. و هو الأمر الذي أنتج قصورا و ضيقا في التفكير المميز لنمط التفكير المثالي (الميتافيزيقي). فالأشياء و انعكاساتها المفاهيمية و المتصورة في الفكر[30] ، بالنسبة للميتافيزيقيين ، هي أشياء معزولة للدراسة ، تعتبر و يتعامل معها واحدة بعد الأخرى ، و من دون أي ترابط ، ثابتة و جامدة ، معطاة مرة واحدة و إلى الأبد. فالشيء ، بالنسبة لهم ، إما يوجد أو هو غير موجود ، و يستحيل لديهم أن يكون الشيء هو ذاته و غيره في نفس الوقت ، فكل كائن عضوي هو في كل لحظة نفسه و غير نفسه. فالميتافيزيقا إذن ، لا ترى و لا تهتم بترابطات الأشياء ، و لا ترى سيرورتها و لا زوالها أمام وجودها.

أما الديالكتيك ، فهو يقارب و يقبض على الأشياء و انعكاساتها المفاهيمية جوهريا ، في علاقاتها و ترابطاتها ، في حركتها ، نشوئها و نهايتها. فالطبيعة ، و هي أرض اختبار الديالكتيك ، تجري فيها الأشياء و تحدث في نهاية التحليل ديالكتيكيا (حركة المادة)، و ليس ميتافيزيقيا. فالأشياء لا تتحرك في تماثل أبدي ، أو دائري تكراري لا منتهي ، تعيد نفسها من دون انقطاع ، و لكنها تجري في تاريخ مادي فعلي.

من هذه الزاوية ، و الفضل في طرحها من دون أن يقدم الحل الفعلي العملي لها بسبب من وضعه المقلوب لها ، يعود ل "هيجل"[31] ، يكون التاريخ البشري إذن هو

"الصافي"، تكون فيه هذه الطبقات البورجوازية الوسطية قائدة للمعركة الاجتماعية – السياسية).

30 – لقد أوضح "ماركس" بعلمية مادية تحليلية دقيقة جدا وهم تصور "هيجل"، رأس المثالية المطلقة (بالمعنى الراديكالي)، للواقع. أنظر بهذا الصدد تلك الأفكار القوية التي جاء بها "ماركس" في كتابه لسنة 1859 (صاغه عمليا سنة 1857 ، و حذف منه تقديمه العام ،قبل نشره بعد ذلك): "مقدمة في نقد الاقتصاد السياسي" ص 149 . 151 . طبعة 1972.

31 – انظر كتابه: "المنطق"، من دون أن ننسى هنا الإشارة إلى

سيرورة تطورية للبشرية نفسها ، تصبح معه مهمة الفكر هي متابعة هذه المسيرة التطورية بكل تموجاتها ، و إثبات ، حتى من خلال كل مظاهرها الطارئة و العرضية ، أن هناك قوانين تحكم هذه السيرورة التطورية البشرية.
على هذا المنظور المادي العلمي ، انوجدت الطريق أمام التصور المادي للتاريخ لتحليل و توضيح الوعي البشري انطلاقا من وجوده الاجتماعي ، و ليس تفسير هذا الأخير انطلاقا من الأول ، خصوصا أمام تعاظم الأحداث التي عرفتها تلك المرحلة (الانتفاضة العمالية بليون ، و بروز أول حركة عمالية :الميثاقيون .) و التي ساهمت بشكل حاسم في انعطافة تصور التاريخ ، و الانفضاح الكلي للسيطرة السياسية للبرجوازية ،و مصالحها الرأسمالية أمام احتداد الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البورجوازية.
هكذا بدت الاشتراكية كنتيجة للصراع المادي التاريخي بين البروليتاريا و البرجوازية ، و أصبحت مهمتها دراسة التاريخ الاقتصادي الذي أنتج هذه الطبقات و تناقضها العدائي. و اكتشاف ، في الوضع الاقتصادي القائم ، طرق حل هذا الصراع العدائي. بخلاف الاشتراكية الطوباوية ، التي رغم نقدها للرأسمالية و نتائجها ، لم تستطع تفسيرها ، و بالنتيجة لم تستطع طرح بديل لها ، فقط بقيت في حدود الرفض ، و عدم القدرة على تصور الرأسمالية في ترابطاتها التاريخية ، و لا على تعرية طبيعتها الداخلية ، و تحديد مصدر و جوهر الاستغلال الرأسمالي.

ه .2. فائض القيمة

ليس لدينا هنا النية في بسط طرح "ماركس" ل"فائض القيمة" ، النظرية المركزية لكتاب "رأس المال"[32] ، فهو مرتبط بمجموعة من المفاهيم التي بها يكتسب هذا المفهوم مضمونه المادي الثوري في النظرية الشيوعية الثورية ، لأننا نريد و بكل عزيمة ، مستقبلا ، على التعاطي الدقيق و التفصيلي ، في بحث خاص ، مع هذا الموضوع الحيوي الذي أتبثه التحليل المادي العلمي الدقيق الذي بلوره "ماركس" منذ صياغته لمخطوطاته في أربعينيات القرن التاسع عشر[33] ، بل سنعمل هنا فقط على طرح و بشكل مركز ، أهم ما طرحه "ماركس" بهذا الصدد ، و الذي شكل و لا زال ، في وجه كل الشعارات و التحاليل الديماغوجية الليبرالية ، ثورة حقيقية للتحليل المادي العلمي لجوهر النظام الرأسمالي.
في رسالته لإنجلز بتاريخ 24 غشت 1867 ، و بعد نشره للمجلد الأول ل "رأس المال" ، كتب "ماركس": "الأفضل في كتابي ، هو: 1 .إبراز و تسليط الضوء ، في الفصل الأول ، على الطابع المزدوج للعمل حيث يعبر عن قيمة الاستعمال و قيمة التبادل. 2 .تحليل فائض القيمة في استقلالية عن أشكاله الخاصة:

الاكتشافات العلمية الثلاثة الكبرى التي غطت هذه المرحلة، و التي كان لها الأثر الكبير في تقدم المعرفة بتسلسل السيرورات الطبيعية : اكتشاف الخلية، الطاقة و تحولاتها، و النظرية الداروينية.

32 – اعتبر "لينين" نظرية فائض القيمة حجر الزاوية في نظرية ماركس الإقتصادية. أنظر الجزء الأول من "المصادر الثلاثة و الأجزاء الثلاثة المكونة للماركسية . مارس 1913 . "لينين".

33 – مخطوطات أربعينيات القرن 19، التي نجد فيها مفهوم "العمل المأجور" (العمل الصناعي). نذكر هنا، بعد أزيد من عشر سنوات على هذه المخطوطات، تلك الرسالة التي بعثها "ماركس" للفيلسوف البروليتاري الألماني "ديكتزن"، و التي أكد فيها "عزمه على وضع تصوره حول الديالكتيك بعد الإنتهاء من عبئ الاقتصادي"،حيث كان لحظتها منكبا كليا على التحليل الدقيق و التفصيلي لرأس المال.

الربح..الفوائد.."

بضعة أشهر بعدها ، و في رسالته لإنجلز في 8 يناير 1868 ، منتقدا فيها تعاطي "دوهرينغ" مع كتاب "رأس المال" ، و مؤكدا فيها تعاطيه مع الشكل العام لفائض القيمة ، كتب "ماركس": "هناك شيء بسيط جدا ، لم ينتبه له جميع الاقتصاديين و من دون استثناء. إذا كان للسعلة طابعا مزدوجا ، قيمة استعماليه و قيمة تبادلية ، فمن الضروري أن يتضمن العمل الممثل في هذه السلعة ، أيضا هذا الطابع المزدوج. في حين ، كل التحاليل التي نجدها لدى سميت و ريكاردو... تصطدم بإشكالات لا يمكن تفسيرها" (للمزيد من التدقيق ، يستحسن العودة إلى الفصل الأول من المجلد الأول ل"رأس المال").

لقد أثبت "ماركس" ، أن ما يشتريه فعلا الرأسمالي ، أي و من الزاوية المقابلة ، ما يبيعه العامل ، ليس العمل ، بل هو قوة العمل. هذه الأخيرة هي في نفس الوقت قيمة استعماليه و قيمة تبادلية كأي سلعة ، إلا أنها هنا هي سلعة حية. فالقيمة الإستعمالية لقوة العمل هي قدرتها أن تكون مصدر القيمة. قيمتها تتحدد بقيمة الوسائل الضرورية "لعيش" الأجير (الأجرة) ، أي لإعادة إنتاج قوته في العمل و الضرورية لأن تصبح ، و من جديد ، قوة عمل.

الحديث عن قوة العمل ، يعني الحديث عن العامل ، و ليس عن العمل. و التحديد الدقيق لقوة العمل تمكن من المرور إلى مفهوم "فائض القيمة". فالاشتراكية ما قبل "ماركس" ، الطوباوية ، لم تتخذ هذا الاتجاه ، لذلك لم تستطع تلمس الوجود التاريخي للطبقة العاملة التي هي قوة العمل الاجتماعية المنتجة لفائض القيمة.

هذا ما جعل اكتشاف فائض القيمة الذي أثبت أن كمية العمل الغير مؤدى عنه ، و الذي يستحوذ عليه الرأسمالي هو أساس الربح و التراكم الرأسمالي للبرجوازية. و هي ضربة حاسمة للاقتصاد السياسي البرجوازي و مزاعمه حول انسجام مصالح الطبقات في ظل الرأسمالية ، في نفس الوقت ، منح هنا "ماركس" ، السلاح النظري المادي للطبقة العاملة في صراعها ضد البرجوازية.

استحواذ البرجوازية على فائض القيمة ، و مقاومة البرولتاريا لهذه العملية ، هو جوهر العداء بين الطبقتين. فالصراع هنا يتمظهر اقتصاديا في الإضرابات العمالية لتحسين الدخل و ظروف العمل.... ، و يتمظهر سياسيا ، أساسا ، في الصراع من أجل السلطة السياسية.

أن تكون ماركسيا إذن ، ليس له معنى آخر ، سوى النضال الثوري المنظم في صفوف البرولتاريا.

11 دجنبر 2015

الماركسية والنزعة التحريفية

فلاديمير لينين (1908)

ثمة حكمة شائعة تقول: لو أن البديهيات الهندسية كانت تصدم مصالح الناس ، لسعوا بكل تأكيد ، إلى دحضها. فان نظريات تاريخ الطبيعة ، التي تصدم أوهام اللاهوت القديمة ، قد أثارت ضدها و ما تزال تثير نضالا ضاريا.و ليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة إذا كان مذهب ماركس ، الذي يهدف مباشرة إلى تنوير و تنظيم الطبقة المتقدمة إلى المجتمع المعاصر ، و يشير إلى مهمات هذه الطبقة و يثبت أن النظام الحالي سيستعاض عنه حتما ، بأوضاع جديدة ، من جراء التطور الاقتصادي ، ليس ثمة ما يدعو إلى الدهشة إذا اضطر هذا المذهب إلى أن يخطو كل خطوة في طريق الحياة ، بعد نضال شديد.

لا جدوى من الكلام عن العلم البورجوازي و الفلسفة البورجوازية اللذين يدرسهما أساتذة رسميون بطريقة رسمية بغية اختبال الجيل الناشئ من الطبقات المالكة و لمجابهة الأعداء الخارجيين و الداخليين. بل إن هذا الضرب من العلم لا يريد حتى أن يسمع بوجود الماركسية ، و يعلن أنها دحضت و أبيدت. فإن المتعلمين الشباب ، الذين يبنون مستقبلهم المهني على دحض الاشتراكية ، و الشيوخ الهرمون ، و الأوصياء على جميع ما أمكن من البالية يهاجمون ماركس بالحمية نفسها. إن تقدم الماركسية و انتشار أفكارها و رسوخها في صفوف الطبقة العاملة ، كل ذلك يجعل بالضرورة هذه الهجمات من جانب البورجوازية على الماركسية أكثر تواترا و أشد ضراوة ، مع العلم أن الماركسية تزداد ثباتا و صلابة و حيوية أكثر من أي وقت مضى ، كلما "أبادها" العلم الرسمي.

و لكن ، حتى بين المذاهب المتعلقة بنضال الطبقة العاملة و المنتشرة بخاصة في صفوف البروليتاريا ، لم ترسخ الماركسية مواقعها دفعة واحدة. ففي السنوات الخمسين الأولى من وجودها (منذ سنوات العقد الخامس من القرن التاسع عشر) ، كافحت الماركسية النظريات التي كانت معادية لها بصورة جذرية. ففي النصف الأول من العقد الخامس ، صفى ماركس و انجلز حساب الهيجليين الراديكاليين الشباب ، الذين كانوا يتبنون وجهة نظر المثالية الفلسفية. و في نهاية العقد الخامس احتدم النضال ، في ميدان المذاهب الاقتصادية ، ضد البرودونية[1]. و استمر هذا النضال في سنوات العقد

1.البرودونية : تيار في الاشتراكية البورجوازية الصغيرة معاد للماركسية ، أسمي باسم أيديولوجيه الفوضوي الفرنسي برودون. فقد انتقد برودون الرأسمالية بشدة ، و لكنه لم ير المخرج في القضاء على أسلوب الإنتاج الرأسمالي الذي يولد حتما الفقر واللامساواة و استثمار الشغيلة ،بل رآه في "تصحيح" الرأسمالية ، في إزالة نواقصها و تجاوزاتها عن طريق إجراء جملة من الإصلاحات. حلم برودون بتخليد الملكية الخاصة الصغيرة ، و اقترح تنظيم مصرف "شعبي" و مصرف "للتبادل" يستطيع بواسطتها العمال ، حسب زعمه ، أن يقتنوا وسائل الإنتاج الخاصة و يصبحوا حرفيين و يؤمنوا التصريف "العادل" لمنتوجاتهم. لم يفهم برودون دور البروليتاريا التاريخي ، و وقف موقفا سلبيا من النضال الطبقي و الثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا.و أنكر ضرورة الدولة من مواقع فوضوية. ناضل ماركس و

السادس و انتهى إلى النتيجة التالية: انتقاد الأحزاب و المذاهب التي تجلت إبان عاصفة 1848. و في سنوات العقد السابع ، انتقل النضال من ميدان النظرية العامة إلى ميدان أقرب من الحركة العمالية بالذات : فطردت الباكونينية من الأممية[2]. و في مطلع العقد الثامن ، برز البرودوني ميولبيرغر لفترة قصيرة إلى الصفوف الأمامية في ألمانيا ؛ و في نهاية العقد الثامن ، جاء دور الوضعي دوهرينغ. و لكن تأثير كل منهما في البروليتاريا كان مما لا يؤبه له. و مذ ذاك تغلبت الماركسية بلا جدال على جميع الإيديولوجيات الأخرى للحركة العمالية.

و حوالي عام 1890 ، غدا هذا الانتصار ، بخطوطه العامة ، أمرا واقعيا. بل إننا نرى حتى في البلدان اللاتينية ، حيث التقاليد البرودونية استمرت أكثر مما في غيرها من البلدان ، أن الأحزاب العمالية قد بنت بالفعل برامجها و تكتيكها على أساس الماركسية. و التنظيم العالمي للحركة العمالية الذي بعث من جديد بشكل مؤتمرات عالمية دورية ، إنما قام أيضا على أساس الماركسية ، من الدفعة الأولى ، و تقريبا دون نضال ، و في جميع المسائل الجوهرية. و لكن ، حين حلت الماركسية محل النظريات المعادية لها ، و المتجانسة بعض التجانس ، سعت الميول التي كانت تعبر عنها هذه النظريات وراء سبل جديدة. فقد تغيرت أشكال النضال و دوافعه ، و لكن النضال استمر. و هكذا بدأ النصف الثاني من القرن الأول من وجود الماركسية (بعد 1890) بنضال التيار المعادي للماركسية في قلب الماركسية.

فان برنشتين ، الماركسي القويم المبدأ سابقا ، الذي أثار أكبر ضجة و وضع أكمل صيغة للتعديلات على ماركس ، لإعادة النظر بماركس ، للنزعة التحريفية ، إنما هو الذي أطلق اسمه على هذا التيار[3]. و حتى في روسيا ، حيث الاشتراكية غير الماركسية دامت طبعا اكثر مما دامت في غيرها من البلدان ، -بسبب تأخر روسيا الاقتصادي و لكون غالبية السكان هي من الفلاحين الرازحين تحت بقايا القنانة- حتى في روسيا ، انحطت هذه الاشتراكية غير الماركسية بكل وضوح ، أمام الأنظار ، إلى نزعة تحريفية. ففي المسألة الزراعية (برنامج

انجلز بدأب و مثابرة ضد محاولات برودون لفرض آرائه على الأممية الأولى.و قد انتهى النضال الحازم الذي خاضه ماركس و انجلز و أنصارهما ضد البرودونية في الأممية الأولى بانتصار الماركسية التام على البرودونية.

2.الباكونينية: تيار اسمي باسم ميخائيل باكونين ، ايديولوجي الفوضوية. شن الباكونينيون نضالا ضاريا على النظرية الماركسية و التكتيك الماركسي للحركة العمالية. تميزت الباكونينية بموضوعتها الأساسية التي تنكر الدولة ،كل دولة ، بما في ذلك ديكتاتورية البروليتاريا ،و بعدم فهم دور البروليتاريا التاريخي العالمي.و باعتقاد الباكونينيين أنه ينبغي لجمعية ثورية سياسية مؤلفة من شخصيات "بارزة" أن تقود الفتن الشعبية.كان تكتيك الباكونينيين القائم على المؤامرات و على الفتن الفورية و الإرهاب تكتيكا مغامرا و معاديا للتعاليم الماركسية بصدد الانتفاضة. تسرب باكونين إلى الأممية الأولى ، و استهدف الاستيلاء على مجالسها العام ، و ناضل ضد ماركس.في مؤتمر لاهاي(عام 1872) ، طرد باكونين من الأممية الأولى بسبب نشاطه التشويشي.

3.البرنشتينية:تيار انتهازي في الاشتراكية-الديمقراطية العالمية ،معاد للماركسية ؛انبثق في أواخر القرن التاسع عشر في ألمانيا و أسمي باسم ادوارد برنشتين (1850-1932) زعيم الجناح الانتهازي المتطرف في الاشتراكية-الديمقراطية الألمانية و في الأممية الثانية. أنكر نظرية النضال الطبقي للماركسية ، و التعاليم المتعلقة بحتمية انهيار الرأسمالية و بالثورة الاشتراكية و ديكتاتورية البروليتاريا. اعتبر برنشتين النضال من أجل الإصلاحات الهادفة إلى <<تحسين>> أوضاع العمال الاقتصادية في ظل الرأسمالية المهمة الوحيدة التي تواجه الحركة العمالية ،و تقدم بالصيغة الانتهازية القائلة : "الحركة كل شئ ، الهدف النهائي لا شئ".

جعل جميع الأراضي ملكية الهيئات المحلية) كما في المسائل العامة المتعلقة بالبرنامج و التكتيك ، أخذ أصحابنا الاشتراكيون-الشعبيون يستعيضون أكثر فأكثر ، بما يستنبطونه من "تعديلات" على ماركس ، عن بقايا الآخذة في التلاشي و الزوال من منهجهم المتداعي ، و لكنه المتجانس على طريقته ، و المعادي للماركسية في أساسه. لقد منيت اشتراكية ما قبل الماركسية بالهزيمة. و هي تواصل النضال ، لا في ميدانها الخاص ، بل في ميدان الماركسية العام ، بوصفها نزعة تحريفية. فلنر إذن ما هو جوهر النزعة التحريفية الفكري.

في حقل الفلسفة ، سارت النزعة التحريفية و في ذيل "العلم" التدريسي البورجوازي. و "عاد" الأساتذة المدرسون إلى "كانط" و سارت النزعة التحريفية في ذيل الكانطيين الجدد. و استعاد الأساتذة السخافات التي لاكها الكهان ألوف المرات ضد المادية الفلسفية ، فإذا المحرفون يبتسمون بشفقة و يتمتمون (كلمة كلمة حسب هندبوخ الأخير[1]) زاعمين أن المادية قد "دحضت" منذ زمان بعيد. و نعت الأساتذة هيغل بسخرية بأنه "كلب طفس" ، بل أنهم كرزوا بالمثالية ، بمثالية أحقر و أسخف ألف مرة من مثالية هيغل ، و هزوا أكتافهم بازدراء عند الحديث عن الديالكتيك ، فإذا المحرفون يتخبطون وراءهم في مستنقع التحقير الفلسفي للعلم ، مستعيضين عن الديالكتيك "المعقد" (والثوري) "بتطور" "بسيط" (هادئ). و كان الأساتذة يكسبون معاشاتهم الرسمية ، مكيفين مناهجهم المثالية و "الانتقادية" وفقا "للفلسفة" السائدة و الموروثة من القرون الوسطى (أي اللاهوت) ، و إذا المحرفون يقفون إلى جانبهم ، ساعين قصارى جهدهم لكي يجعلوا من الدين قضية "خاصة" ، لا بالنسبة للدولة المعاصرة ، بل لحزب الطبقة المتقدمة. لا جدوى من الكلام عن المعنى الطبقي الحقيقي الذي ارتدته هذه "التعديلات" على ماركس ، فالأمر بديهي. غير أننا نلاحظ فقط أن بليخانوف كان ، في الاشتراكية-الديمقراطية العالمية ، الماركسي الوحيد الذي أقدم من وجهة نظر المادية الديالكتيكية المتجانسة ، على انتقاد السخافات الفظيعة التي تشدق بها المحرفون ، في هذا الميدان. و تنبغي الإشارة إلى هذا الأمر بقوة ، خصوصا و انه تبذل في أيامنا محاولات ، خاطئة في الأساس ، بغية تمرير هذا الحطام من الفلسفة الرجعية ، تحت ستار انتقاد انتهازية بليخانوف التكتيكية[2*].

و في حقل الاقتصاد السياسي ، نلاحظ قبل كل شئ أن "تعديلات" المحرفين كانت أكثر تنوعا و تفصيلا بكثير ؛ و قد جهدوا للتأثير في الجمهور بما أسموه "المعطيات الجديدة في التطور الاقتصادي". فقد زعموا أن تمركز الإنتاج و إزاحة الإنتاج الكبير للإنتاج الصغير لا يظهران أبدا في الزراعة ، و أنهما لا يجريان في التجارة و الصناعة إلا بأقصى البطء. و زعموا أن الأزمات أخذت تنذر اليوم أكثر مما مضى و أحذت تضعف ، و أنه يبدو

*1. كتاب الإرشادات.الناشر.

*2. انظر كتاب "دراسات في الفلسفة الماركسية" لبوغدانوف و بازاروف و غيرهما. ليس ثمة ما يدعو هنا إلى تحليل هذا المؤلف. فأكتفي إذن الآن أن أعلن أني سأبين ، في مستقبل قريب ، في جملة من المقالات أو في كراس خاص ، أن كل ما قيل في هذا النص بصدد المحرفين الكانطيين الجدد ينطبق أيضا ، من حيث الجوهر ، على هؤلاء "الجدد" المحرفين الهيوميين الجدد (أنصار هيوم) و البر كليين الجدد (أنصار بركلي). (راجع لينين "المادية و المذهب النقدي التجريبي". الناشر.)

أن الكارتيلات و التروستات ستتيح للرأسمال القضاء على الأزمات تماما. و زعموا أن "نظرية الإفلاس" الذي تسير نحوه الرأسمالية ، نظرية واهية ، إذ أن حدة التناحرات الطبقية تميل نحو الهبوط ، نحو الضعف ؛ و زعموا أخيرا أن من المستحسن أن يصار أيضا إلى إصلاح نظرية ماركس حول القيمة ، وفقا لآراء بوهم-بافيرك.

في هذه المسائل ، أدى النضال ضد المحرفين إلى نهوض مثمر في تفكير الاشتراكية العالمية النظري بقدر ما أدى إليه جدال انجلز مع دوهرينغ قبل عشرين سنة. فقد محصت ذرائع المحرفين ، على ضوء الوقائع و الأرقام. و أعطي الرهان على أن المحرفين يسعون بدأب و انتظام لتجميل الإنتاج الصغير العصري. غير ثمة معطيات لا تدحض تثبت تفوق الإنتاج الضخم على الإنتاج الصغير ، تكنيكيا و تجاريا ، ليس في الصناعة و حسب ، بل في الزراعة أيضا. و لكن الإنتاج البضاعي في الزراعة هو أقل تطورا بكثير ؛ و الاحصائيون و الاقتصاديون المعاصرون لا يحسنون ، عادة ، إبراز الفروع الخاصة في الزراعة (و حتى العمليات أحيانا) ، التي تعبر عن انخراط الزراعة المطرد في التبادل على صعيد الاقتصاد العالمي. و على أنقاض الاقتصاد الطبيعي ، ما يزال الإنتاج الصغير قائما على أساس تفاقم سوء التغذية إلى ما لا حد له ، و المجاعة الزمنية ، و تمديد يوم العمل ، و تردي نوعية المواشي و العناية بها ، بوساطة نفس الوسائل التي لجأ إليها الإنتاج الحرفي للصمود بوجه المانيفاكتورة الرأسمالية. إن كل خطوة يخطوها العلم و التكنيك إلى الأمام تقوض حتما ،و بلا هوادة و رحمة ، أسس الإنتاج الصغير في المجتمع الرأسمالي. و لدا كانت مهمة العلم الاقتصادي الاشتراكي أن يحلل هذه العملية بكل أشكالها المعقدة و المتشابكة غالبا و أن يثبت للمنتج الصغير أنه يستحيل عليه البقاء في النظام الرأسمالي ، و أن حالة الاقتصاد الفلاحي في ظل الرأسمالية حالة لا مخرج منها ، و أنه يترتب على الفلاح أن يتبنى وجهة نظر البروليتاري. و في هذه المسألة ، كان خطأ المحرفين ، من الناحية العلمية ، قيامهم بتعميم سطحي لوقائع مختارة بصورة مغرضة ، دون النظر إلى صلتها بمجمل النظام الرأسمالي ؛ و من الناحية السياسية ، كان خطأ المحرفين أنهم دعوا أو دفعوا الفلاح حتما ، سواء شاؤوا ذلك أم أبوا ، إلى اعتناق وجهة نظر الملاك (أي وجهة نظر البورجوازية) ، بدلا من دفعه إلى تبني وجهة نظر البروليتاري الثوري.

و كانت الأمور أسوا من ذلك بالنسبة للنزعة التحريفية فيما يتعلق بنظرية الأزمات و الإفلاس. فليس إلا خلال فترة من الزمن جد قصيرة ، كان الناس الأقل تبصرا هم وحدهم الذين يستطيعون التفكير بصياغة أسس المذهب الماركسي من جديد ، تحت تأثير بضع سنوات من النهوض و الازدهار الصناعيين. و لكن الواقع سرعان ما بين للمحرفين أن عهد الأزمات لم ينقض : فالأزمة كانت تعقب الازدهار. لقد تعدلت أشكال بعض الأزمات و تعدلت سيماؤها ؛ و لكن الأزمات ظلت جزءا لا يتجزأ ، جزءا محتما ، من النظام الرأسمالي. فان الكارتيلات و التروستات ، بتوحيدها الإنتاج ن كانت تزيد في أي الوقت نفسه ، و أمام أنظار الجميع ، من حدة فوضى الإنتاج ، و من تفاقم الشروط القاسية لمعيشة البروليتاريا ، و من شدة طغيان

الرأسمال ؛ و بذلك ، كانت تزيد من حدة التناقضات الطبقية إلى درجة لم يعرف لها مثيل من قبل. إن التروستات العصرية الهائلة هي التي أثبتت بصورة واضحة و على مدى واسع ، أن الرأسمالية تسير نحو الإفلاس ، سواء من حيث مختلف الأزمات السياسية و الاقتصادية أم من حيث انهيار النظام الرأسمالي كله انهيارا تاما. فان الأزمة المالية الأخيرة في أمريكا ، و تفاقم البطالة بشكل مخيف في عموم أوربا ، ناهيك عن الأزمة الصناعية الوشيكة التي ينذر بها بعض الأعراض ، قد حملا الجميع على نسيان "نظريات" المحرفين الأخيرة ، بل يبدو أن الكثيرين من المحرفين أنفسهم قد نسوها. غير أنه ينبغي ألا ننسى الدروس التي تلقتها الطبقة العاملة من هذا التقلقل لدى المثقفين.

و فيما يتعلق بنظرية القيمة ، يكفي القول أن المحرفين لم يعطوا مطلقا أي شئ بهذا الصدد ، عدا الزفرات و التلميحات الغامضة كثيرا ، على غرار ما فعله بوهيم-بافيرك ، و لم يتركوا بالتالي أي أثر في تطور الفكر العلمي.

و في حقل السياسة ، حاولت النزعة التحريفية أن تعيد النظر بالفعل في أسس الماركسية ، أي نظرية النضال الطبقي. فقد قيل لنا أن الحرية السياسية ، و الديمقراطية ، و حق الاقتراع العام ، كل ذلك لا يدع مجالا للنضال الطبقي و يدحض المبدأ القديم الوارد في "البيان الشيوعي" و القائل بأن ليس للعمال وطن. و هكذا يبدو ، كما أكدوا لنا ، أنه ليس بالمستطاع اعتبار الدولة جهازا للسيطرة الطبقية ، و لا رفض التحالفات مع البورجوازية التقدمية ، الاشتراكية الإصلاحية ، ضد الرجعيين ، ما دامت "إرادة الأكثرية" هي التي تسود في ظل الديمقراطية.

لا جدل في أن اعتراضات المحرفين هذه تنحصر في نهج من المفاهيم متجانس نسبيا ، أي نهج من مفاهيم بورجوازية ليبرالية معروفة منذ أمد بعيد. فقد زعم الليبراليون على الدوام أن البرلمانية البورجوازية تقضي على الطبقات و الانقسامات الطبقية ،لأن جميع المواطنين يتمتعون ، دون أي تمييز ، بحق التصويت ، بحق الاشتراك في شؤون الدولة. إن كل التاريخ الأوربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، و كل تاريخ الثورة الروسية في مطلع القرن العشرين ، يبينان بجلاء مدى سخف هذه المفاهيم.

ففي ظل حرية الرأسمالية "الديمقراطية" ، لا تخف حدة الفوارق الاقتصادية ، بل تشتد و تتفاقم. و النظام البرلماني لا يزيل بل يكشف جوهر أكثر الجمهوريات البورجوازية ديمقراطية ، بوصفها أجهزة للاضطهاد الطبقي. و بما أن النظام البرلماني يساعد في تنوير و تنظيم جماهير من السكان أكبر بما لا حد له من الجماهير التي كانت تشترك فيما مضى بنشاط في الأحداث السياسية ، فانه لا يهيئ على هذا النحو زوال الأزمات و الثورات السياسية ، بل يهيئ الحد الأقصى من تفاقم الحرب الأهلية إبان هذه الثورات. إن أحداث باريس في ربيع 1871 ، و أحداث روسيا في شتاء 1905 ، قد بينت بكل وضوح أن هذا التفاقم أمر لا مناص منه. فان البورجوازية الفرنسية ، سعيا منها لسحق الحركة البروليتارية ، لم تتردد ثانية واحدة عن عقد صفقة مع عدو الوطن ، مع الجيش الأجنبي الذي كان قد أشاع

الخراب و الدمار في وطنها. إن من لا يدرك الديالكتيك الداخلي المحتوم في النظام البرلماني و الديمقراطية البورجوازية ، ضد الديالكتيك الذي يؤدي إلى حل النزاع بصورة أشد حدة مما مضى ، باللجوء إلى العنف الشديد الشامل ، لن يعرف أبدا كيف يقوم ، في ميدان هذا النظام البرلماني ، بدعاية و تحريض منطبقين على مبادئنا و من شانهما تحضير الجماهير العمالية فعلا للاشتراك بهذه "النزاعات" اشتراكا مظفرا. وفي تجربة المحالفات و الاتفاقات و التكتلات ، مع الليبرالية الاشتراكية الإصلاحية في الغرب ، و مع الإصلاحية الليبرالية (الكاديت) في الثورة الروسية ، ما يدل بصورة مقنعة على أن هذه الاتفاقات لا تؤدي إلا إلى الفل من وعي الجماهير ، و أنها لا تقوي المغزى الحقيقي لنضالها بل تخفف منه ، إذ تربط بين المكافحين و بين أقل العناصر أهلية للكفاح و أسرعها إلى التخاذل و الخيانة. إن الميليرانية[4] الفرنسية — و هي أكبر تجربة في حقل تطبيق التكتيك السياسي التحريفي على نطاق كبير ، على نطاق بلاد بأسرها حقا- قد أعطت عن النزعة التحريفية تقديرا عمليا لن تنساه بروليتاريا العالم اجمع أبدا. و قد كان موقف النزعة التحريفية من هدف الاشتراكية النهائي التكملة الطبيعية لميولها الاقتصادية و السياسية. إن كلمة برنشتين المجنحة: "الهدف النهائي ليس بشئ ، الحركة هي كل شئ" ، تعبر عن طبيعة النزعة التحريفية خيرا من عدد كبير من الشروحات المستفيضة. أن يحدد المرء سلوكه تبعا لكل حالة و وضع ، أن يتكيف تبعا لأحداث الساعة ، لتغيرات الأمور السياسية الطفيفة ، أن ينسى مصالح البروليتاريا الجذرية و الميزات الجوهرية لمجمل النظام الرأسمالي و لكل التطور الرأسمالي ، أن يضحي بهذه المصالح الجذرية من أجل منا فع وقتية ، فعلية أو مفترضة: تلك هي خطوط السياسة التحريفية. و من جوهر هذه السياسة بالذات ، ينجم هذا الأمر الجلي و هو أن أشكالها قد تتغير إلى ما لا حد له ، و أن كل مسالة "جديدة" نوعا ما ، و كل تغير في الأحداث غير منتظر أو متوقع نوعا ما — و لو أدى هذا التغير إلى تعديل الخط الأساسي للتطور ، لدرجة ضئيلة جدا و لأقصر فترة من الوقت-، سيولدان حتما و أبدا ، هذه الأنواع أو تلك من النزعة التحريفية.

إن ما يجعل النزعة التحريفية أمرا محتما ، إنما هي جذورها الطبقية في المجتمع المعاصر. فان النزعة التحريفية ظاهرة عالمية. و لا يمكن لاشتراكي ، و لو كان قليل الاطلاع و التفكير ، أن يخامره أدنى شك في أن العلاقات بين الاورثودوكس[5] و البرنشتينيين في ألمانيا ، بين أنصار غيد و جوريس (واليوم أتباع بروس بخاصة) في فرنسا[6] ، بين الاتحاد الاشتراكي - الديمقراطي و حزب

4. الميليرانية: تيار انتهازي في الاشتراكية-الديمقراطية ،اسمي باسم الاشتراكي الإصلاحي الفرنسي ألكسندر ايتيان ميليران الذي اشترك سنة 1899 في الحكومة البورجوازية الرجعية الفرنسية. كان اشتراك ميليران في الحكومة البورجوازية تعبيرا ساطعا عن سياسة زعماء الاشتراكية-الديمقراطية الانتهازيين- سياسة التعاون الطبقي مع البورجوازي- و عن امتناعهم عن النضال الثوري ،كما كان خيانة لمصالح الطبقات الكادحة.

5. الاورثوذكس: الاشتراكيون-الديمقراطيون الألمان الذين عارضوا تحريف الماركسية.

6. الغيديون: تيار ماركسي ثوري في الحركة الاشتراكية الفرنسية في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين ترأسه غيد و لافارغ. في سنة 1882 ، بعد انشقاق حزب العمال في فرنسا أثناء مؤتمر سان_ايتيان ، شكل الغيديون حزبا مستقلا ، مع احتفاظهم بالاسم

العمال المستقل في انجلترا[7] بين بروكر و فاندرفيلده في بلجيكا ، بين الاطلاقين و الإصلاحيين في ايطاليا[8] ، بين البلاشفة و المناشفة[9] في روسيا ، هي ، في الأساس ، و في كل مكان ، من طبيعة واحدة ، رغم التنوع الهائل في الأحوال القومية و العوامل التاريخية في الوضع الراهن في جميع هذه البلدان. إن "الانقسام" في قلب الاشتراكية العالمية المعاصرة يجري ، بالفعل ، منذ اليوم ، حسب نفس الخط في شتى بلدان العالم ، مقدما

القديم. ظل الفيديون أمناء للبرنامج الذي أقره لحزب سنة 1880 في مدينة الهافر ، و الذي كتب ماركس قسمه النظري ، و ذادوا عن السياسة الثورية المستقلة للبروليتاريا.

في سنة 1901 ، اتحد أنصار النضال الطبقي الثوري برئاسة غيد في الحزب الاشتراكي في فرنسا(الذي اخذوا يسمون أعضاء أيضا باسم زعيمه أي بالغيدين). في سنة 1905 ،اتحد الغيديون مع الحزب الاشتراكي الفرنسي الإصلاحي في الحزب الاشتراكي الفرنسي الموحد. الجوريسيون : تيار إصلاحي ، يميني ، في الحركة الاشتراكية الفرنسية ،ترأسه جان جوريس. تحت ستار المطالبة <<بحرية النقد>> ، قام الجوريسيون بتحريف الموضوعات الأساسية في الماركسية ، و دعوا إلى التعاون الطبقي بين البروليتاريا و البورجوازية. وفي سنة 1902 ، شكلوا الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي تبنى مواقف إصلاحية.

البروسيون (باسم بروس) أو الامكانيون ، تيار بورجوازي صغير ، إصلاحي في الحركة الاشتراكية الفرنسية حاول صرف البروليتاريا عن طرائق النضال الثورية. في عام 1882 ، بعد انشقاق حزب العمال في فرنسا ، شكل الامكانيون "حزب العمال الاجتماعي_الثوري". و أنكر الامكانيون برنامج البروليتاريا الثوري و تكتيكها الثوري ، و طمسوا الأهداف الاشتراكية للحركة العمالية ، و اقترحوا حصر نضال العمال في إطار "الإمكان" ، "الممكن".

7.الاتحاد الاشتراكي-الديمقراطي في بريطانيا : تأسس عام 1884. فضلا عن الإصلاحيين (هايدمان و غيره) و الفوضويين ،انضم إلى الاتحاد الاشتراكي الديمقراطي فريق الاشتراكيين-الديمقراطيين الثوريين ،أنصار الماركسية (كفليتش ، مان ، ايفلينغ ، ايليونورا ماركس ، وغيرهم) الذين كانوا يشكلون الجناح اليساري في الحركة الاشتراكية في بريطانيا. انتقد انجلز انتقادا حادا الاتحاد الاشتراكي-الديمقراطي بسبب جموده العقائدي و انعزاليته ، و بسبب انفصاله عن الحركة العمالية الجماهيرية في بريطانيا و تجاهله لخصائصها. في عام 1907 ، اسمي الاتحاد الاشتراكي-الديمقراطي بالحزب الاشتراكي-الديمقراطي. و هذا الحزب أسس في عام 1911 ، مع العناصر اليسارية في حزب العمال المستقل ، الحزب الاشتراكي البريطاني. في عام 1920 ، اشتركت أغلبية أعضاء هذا الحزب في تأسيس الحزب الشيوعي البريطاني.

حزب العمال المستقل: منظمة إصلاحية تأسست عام 1893. انضم إلى هذا الحزب أعضاء "التريديونيات الجديدة" و عدد من النقابات القديمة و ممثلوا المثقفين و البورجوازية الصغيرة ، المتأثرون بالفابيين.كان الحزب برئاسة كير هاردي. شغل حزب العمال المستقل ، منذ بداية وجوده ، مواقف بورجوازية إصلاحية ، معلقا اهتماما خاصا على الشكل البرلماني للنضال و على الصفقات البرلمانية مع الحزب الليبرالي (حزب الأحرار). و قد قال لينين في وصف حزب العمال المستقل "انه حزب انتهازي تابع دائما بالفعل للبورجوازية" ، و انه " "مستقل" عن الاشتراكية فقط و تابع جدا لليبرالية" (المؤلفات الكاملة ،المجلد 90 ،39-91 ، و المجلد 22 ، ص 122-123)

8.الاطلاقيون : أنصار الاشتراكية "المطلقة" ، و هي ضرب من الاشتراكية البورجوازية الصغيرة. كان ريكو فيري زعيم الاطلاقيين.شكل الاطلاقيون تيارا وسطا من الحزب الاشتراكي الايطالي ،و ناضلوا في سنوات العقد الأول من القرن العشرين في جملة من المسائل ضد الإصلاحيين الذين كانوا يشغلون مواقف انتهازية متطرفة و يتعاونون مع البورجوازية الرجعية.

9.المناشفة : تيار انتهازي ، بورجوازي صغير في الاشتراكية الديمقراطية في روسيا.

لدن انتخابات الهيئات المركزية في المؤتمر الثاني ح ع ا د ر (عام 1903) ، نال الاشتراكيون-الديمقراطيون الثوريون و على رأسهم لينين الأغلبية (بالروسية "بولشنستفو" و معناها الأغلبية. ومن هنا اسم "البولشوفيك" أو "البلاشفة") ، و نال الانتهازيون الأقلية (بالروسية "منشنستفو" و معناها الأقلية. و من هنا اسم "المنشفيك" أو "المناشفة").

في مرحلة ثورة 1905-1907 ، وقف المناشفة ضد زعامة الطبقة العاملة في الثورة و ضد تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين ، و طالبوا بالاتفاق مع البورجوازية الليبرالية التي كان ينبغي ، باعتقادهم ، أن تناط بها قيادة الثورة. في سنوات الردة الرجعية التي عقبت هزيمة ثورة 1905-1907 ، صار المناشفة بأغلبيتهم تصفويين: فقد طالبوا بتصفية الحزب السري الثوري للطبقة العاملة.

بعد انتصار الثورة البورجوازية الديمقراطية في شباط (فبراير) 1917 ، اشترك المناشفة في الحكومة المؤقتة البورجوازية ، و دعموا سياستها الامبريالية و ناضلوا ضد الثورة الاشتراكية الجاري إعدادها.

بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية ، صار المناشفة حزبا معاديا للثورة على المكشوف ، حزب ينظم لمؤامرات و الانتفاضات الهادفة إلى إسقاط السلطة السوفيتية ، ويشترك فيها.

الدليل بذلك على أنه قد تمت خطوة كبيرة إلى الأمام ، بالقياس إلى ما كان يجري منذ ثلاثين أو أربعين سنة ، حين كانت في شتى البلدان ميول مختلفة تتصارع في قلب حركة اشتراكية عالمية موحدة. حتى أن "النزعة التحريفية اليسارية" ، التي تبدو اليوم في البلدان اللاتينية بشكل "سنديكالية ثورية"[10] تكيف أيضا على الماركسية مع "إصلاحها": فان لابريولا في ايطاليا ، و لاغارديل في فرنسا يتنصلان في كل لحظة تقريبا من ماركس الذي أسئ فهمه و يستشهدان بماركس الذي أحسن فهمه.

إننا لا نستطيع التوقف هنا طويلا من أجل تحليل المضمون الفكري لهذه النزعة التحريفية ، التي ما تزال بعيدة عن بلوغ درجة التطور التي بلغتها النزعة التحريفية الانتهازية ، و لما تتخذ طابعا عالميا ، و لم تخض عمليا أي معركة هامة مع الحزب الاشتراكي في بلد واحد من البلدان. و لذا نقتصر على دراسة "النزعة التحريفية اليمينية" التي رسمناها أعلاه.

ما الذي يجعل النزعة التحريفية أمرا محتما في المجتمع الرأسمالي ؟ و لماذا هي أعمق من اختلاف الخصائص القومية و درجات تطور الرأسمالية ؟ لأنه ، في كل بلد رأسمالي ، تقوم أبدا ، إلى جانب البروليتاريا ، فئات واسعة من البورجوازية الصغيرة ، من صغار أرباب العمل. إن الإنتاج الصغير قد ولد و ما يزال يولد الرأسمالية على الدوام. و الرأسمالية تخلق حتما من جديد جملة كاملة من "الفئات المتوسطة" (ملحق المصنع ، العمل في المنزل ، المشاغل الصغيرة المنتشرة في عموم البلاد ، نظرا لمتطلبات الصناعة الضخمة ، مثلا ، صناعة الدراجات و السيارات ، الخ.). إن هؤلاء المنتجين الصغار الجدد يدفعون ، بدورهم ، حتما ، إلى صفوف البروليتاريا. و عليه يكون من الطبيعي تماما أن تكون الحالة على هذا النحو و إن تظل أبدا كذلك حتى في أطوار الثورة البروليتاريا بالذات ، إذ أنه من فادح الخطأ الاعتقاد إن من الضروري تحويل أغلبية السكان إلى بروليتاريا تحويلا "تاما" ، لكي تتم هذه الثورة. فان ما نمر به اليوم ، و في معظم الأحيان في ميدان الأفكار فقد: من مناقشات بصدد التعديلات النظرية على ماركس ؛ و ما لا يتجلى عمليا في الوقت الحاضر ، إلا بالنسبة لبعض المسائل الجزئية للحركة العمالية - الخلافات التكتيكية مع المحرفين و الانشقاقات التي تحدث في هذا المضمار- إنما يترتب على الطبقة العاملة ، بالضرورة ، أن تمر به بنسب أوسع بما لا يقاس ، عندما تؤدي الثورة البروليتاريا إلى التشديد من حدة جميع المسائل المتنازع عليها ، و عندما تحصر هذه الثورة جميع الخلافات في نقاط ذات أهمية مباشرة بالنسبة لتحديد سلوك الجماهير ، عندما تجبرنا هذه الثورة ، في معمعان النضال ، على الفصل بين الأعداء و الأصدقاء ، على نبذ الحلفاء الأرديا ، بغية تسديد ضربات

10 ."السنديكالية الثورية" (أو "النقابية الثورية") : تيار بورجوازي صغير نصف فوضوي ، ظهر في الحركة العمالية في عدد من بلدان أوربا الغربية في أواخر القرن التاسع عشر. أنكر السنديكاليون ضرورة نضال الطبقة العاملة السياسي ، و الدور القيادي للحزب ، و ديكتاتورية البروليتاريا. و اعتبروا أن النقابات (السنديكات) تستطيع ، عن طريق تنظيم اضراب العمال العام ، و بدون ثورة ، أن تدك الرأسمالية و تأخذ في يدها مقاليد إدارة الإنتاج. أوضح لينين أن "السنديكالية الثورية كانت في كثير من البلدان نتيجة مباشرة و محتمة للانتهازية و الإصلاحية والبلاهة البرلمانية". (المؤلفات الكاملة ، المجلد 16 ، ص 188-189).

حاسمة إلى العدو.

إن نضال الماركسية الثورية الفكري ضد النزعة التحريفية ، في أواخر القرن التاسع عشر ، ليس سوى مقدمة للمعارك الثورية الكبيرة التي ستخوضها البروليتاريا السائرة إلى الأمام ، نحو انتصار قضيتها التام ، رغم كل تردد العناصر البورجوازية الصغيرة و تخاذلها.

كتب في النصف الثاني من آذار (مارس) 1908

صدر ما بين 25 سبتمبر و 2 أكتوبر (8 و 15 أكتوبر) 1908

مجموعة " كارل ماركس (1818-1883)". سانت بترسبرغ المجلد 17 ، ص 15-26

لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية